من مشكلات التراث العربي

صلاح الدين المنجد ●

للتراث العربي مشكلاتٌ كثيرة ، لا تفي ببحثها وتفصيلها مقالة في مجلة . لكني سأحاول الاشارة إلي أعظمها بايجاز . وسأعود اليها بالتفصيل في رسالة خاصة نصدرها قريبا إن شاء الله .

لم تؤلّف أمّةٌ من الأمم ذوات الحضارة السابقة للاسلام ، ما ألّفه العرب المسلمون من تواليف ، لا اليونان ولا الرومان أو غيرُهم . وعلى الرغم مما أصاب تُراثنا المخطوط من نكَبات ، أفقدتْ الكثيرَ منه ، خلال تاريخنا الطويل ، إتلافا أو ضياعا ، أو إحراقا ، فإن ما يوجد اليوم منه ، في المكتبات العامّة والخاصّة ، في البلاد العربيّة الإسلامية ، والبلاد الغربيّة والامريكية يزيد على ثلاثة ملايين . وهذا العدد يزداد كلّما فُهرِسَتْ المخطوطات التي لم تُفهرس بعد . وفي هذه الملايين خلاصةُ الثقافة الاسلامية العربيّة ، في مختلف ألوانها وميادينها وعهودها (١) .

ومن المؤسف أنّ الاهتمام بهذا التراث ،في البلاد العربية الاسلامية،لا يُوازي عِظَم شأن هذا التراث وسَعَته وغِناه . وأنّ المختصّين بشئونه غير كثيرين . وأنّ كثيرا من المؤسّسات الثقافية والمكتبات لا تَكِلُ أمور المخطوطات إلي أهل الاختصاص . ويكفي أن نذكر أنّ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية،وهو أعظم مركز للتُراث وجَمعه في البلاد العربية،تعاقب عليه أربعة مُدراء بعد أن استَقَلْنا من إدارته ، ليس لهم في أمور التراث اختصاص ولا نِتاج ، ولا رصيدٌ علمي يؤهّلهم للعمل فيه . فإذا كان هذا شأن معهد المخطوطات،فما بالك في المراكز والمكتبات الأخرى.فإنّ المختصّين فيها قلائل . وأكثرهم من المبتدئين أو المتخرجين من مدارس المكتبات ، الذين لم يُؤتوا بَعْدُ العلم الواسع والإحاطة بالثقافة الاسلامية ، من جميع جوانبها ، ولا الاطلاع على المخطوطات بقدر كاف . فإنّ رأس مال المشتغل بالتراث ليس ما قرأه في مدرسة المكتبات ، بل ما أحاط به علمه من الثقافة الاسلامية العربية كلّها ، وما رأتْه عيناه ، وقَلّبَتْهُ يداه من الكتب المخطوطة . ولا شئ يوجب عليك الالمام بالثقافة الاسلامية كلّها مثل اشتغالك بالتُراث .

وسبب هذه المشكلة في رأيي عدم أهتمام أولي الأمر ، على اختلاف طبقاتهم ، بتراثنا . فقد شغلتهم أمور السياسة ، أو الإدارة ، أو المناصب ، عن ذلك . حتى إنّ بعضهم لم يَقْتَن مخطوطا بنفسه ، وإذا رآه لم يدرك

● من أبرز علماء المخطوطات في العالم . نال عدة شهادات عليا من باريس في القانون ، والتاريخ ، وعلم المكتبات ، والفن الاسلامي ، والصحافة وعلم الباليوغرافيا . كان مديرا لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ومستشارا فيها ، واستاذا زائرا في جامعات عديدة، وقد بلغت آثاره ما بين نصّ محقّق أو كتاب مؤلّف مئة وخمسين . وهو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع العراقي ببغداد ، ومجامع ومعاهد أخرى في العالم العربي والأجنبي .

قيمته . قلتُ يوما لرجل عظيم الشأن منهم : إن مصحفا بخط ياقوت المستعصمي بيع في لندن بمبلغ كبير جدا. فقال: ومَنْ هو ياقوت؟قلتُ:من أعظم الخطاطين في الاسلام ، عاش قبل ثمانمائة سنة . فأجابني : ولماذا يدفعون هذا المبلغ فيه ؟ أليس المصحف المطبوع خيرا منه ؟ ..

إنّ هذا العدد الهائل من المخطوطات العربية في العالم قد سبّب مشكلتين . الاولى مشكلة فهرسة هذه المخطوطات ، والثانية مشكلة المفهرسين .

فالكثير من هذه المخطوطات ، وخاصة في بلادنا العربية الإسلامية ، ما يزال غير مُفَهْرَس . وعملُ الفهارس يجري ببطء . هذا في المكتبات العامة . أما المكتبات الخاصة ، فاننا لا ندري عنها إلاّ القليل . ولا نعلم مافيها بإحاطة وشمول . وقد يَتسنّى لبعض العلماء الاطلاع على بعض المخطوطات في هذه المكتبات ، وليس على ما فيها كلّها . ذلك أنّ كثيرا من الأفراد أو العلماء الذين يقتنون المخطوطات ، لا يحبون إظهار مالديْهم . لاحظتُ ذلك في أسفاري الكثيرة للبلاد العربية والإسلامية التي زرتُها .

فلا بُدّ إذن من تنشيط حركةالفهرسة حتى يُتاح للعلماء معرفة كل نسخة خطية من أى كتاب . و يسهل عليهم الإفادة منها ، بعد الاطلاع على وصفها ومزاياها .

لكنّ فَهْرسة المخطوطات ليسَتْ بالأمر السهل ، وهي تثير اليوم مشكلة واضحة . ذلك أن المنهج الذي يجري عليه المُفَهْرِسون ليس موحّدا . فبعضهم يوجز في وصف المخطوط ، وآخرون يُطنبون حتى لتحسب أنّهم يضعون دراسة مفصّلة عنه . و بعضهم يذكر أمورا يُهملها الآخر . و بعضهم لا يتقيّد بأي منهج علمي قط ، كالشيخ ناصر الدين الألباني في فهرس مخطوطات الحديث في الظاهرية ، فهولم يتبع المنهج العلمي الواجب اتباعه في الفهرسة ، وخلط بكتب الحديث كتبا من التفسير والقراءات وغيرها .

وقد تكلمنا باسهاب عن طرق فهرسة المخطوطات عند القُدامى والمُحْدَثين ، في كتاب خاص لنا (٢) ، فلا مجال لذكرها هنا . وإنما الذي ينبغي الاهتمام به هو «**توحيد طرق الفهرسة**» في البلاد العربية كلّها .

وننتقل إلى مشكلات نشر التراث وتحقيقه .

لقد سبق الاوربيّون إلى نشر تراثنا بالحروف العربيّة . يكفي أن نذكر مثلا أنّ كتاب «القانون في الطب» لابن سينا ، ظهر في أول طبعة عربية في روما عام ١٥٩٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٠٠٨ هجرية ، أي قبل ما يقرب من اربع مئة سنة . لكنّ البلاد المشرقية لم تبدأ فيها طباعة الكتب الاسلامية إلاّ بعد مائتي سنة ، في القرن الثامن عشر الميلادي والثاني عشر الهجري . بدأت في الآستانة عاصمة الخلافة ، وانتشرت في ذلك القرن ، والقرن الذي يليه في مصر ولبنان وسورية واليمن والحجاز وسائر البلاد الاسلامية .

وكان نشر الكتب الخطيّة بالطباعة يقوم على المصّححين في المطابع،وقد يقوم بعض العلماء بمراجعة النصّ والتعليق عليه .

ولم يظهر التحقيق العلمي في نشر التراث عندنا ، إلاّ في أوائل هذا القرن ، بعناية خرّيجي الجامعات في مصر ، وأوروبة ، والهند ، أو كبار العلماء .

ونلاحظ من استقراء ما نشر من التراث أن هذا النشر لا يجري حسب هدف واضح . وإننا لنتساءل : ماذا يجب أن ننشر من هذا التراث ؟

لقد حقق المستشرقون أمّات الكتب ، وكان اختيارهم حسنا ، نشروا طبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ اليعقوبي ،والمكتبة الجغرافية ، ومعجم البلدان ، ورحلة ابن جبير ، وحماسة ابي تمام ، والنقائض ، والكامل للمبّرد ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وفهرست ابن النديم ، ومئات من هذا المستوى . وعندما بدأنا ننشر نحن ، سرنا دون نهج مرسوم .

صحيح إن التراث العربي ينبغي أن يُنشر كلّه ، ولكن هذا يحتاج إلى قرون . ويجب أن نقدّم الأصول على الفروع ، والأهم على المهم . وما نزال حتى اليوم بحاجة ماسّة إلى كثير من الأصول لم تنشر ، لأن هناك اضطرابا في الاختيار ، كلٌ ينشر على هواه . والتوجيه من قِبل المختصين قليل ، وقد يُفضّلُ الكتاب الرابح على الكتاب الجيّد .

فلا بُدّ إذن من وضع خطّة تُتبع في اختيار ما يحقق . وكنا فصّلنا القول في هذا الأمر ، في بحث قدّمناه لمؤتمر المجامع العلمية المنعقد بدمشق عام ١٩٥٨ ، فليرجع إليه (٣) .

وفي تحقيق النصوص نجد الآن مشكلة أخرى . هي كيف ننشر ونحقق ؟

نلاحظ بوضوح أن هناك فوضى في طُرق التحقيق ، هناك فقدان منهج علمي واحد يتبعه المحققون العرب ، كالنهج الذي يتبعه علماء الغرب في نقد النصوص اللاتينيّة واليونانية ونشرها . وهذا أمر عجيب . لأنّ علماءنا المسلمين الأقدمين وضعوا مثل هذا المنهج في نقلهم ونسخهم وتحقيقهم نصوص الحديث النبوي . (٤) بل إن منهج المسلمين في رأيي كان أدقّ ، وأكثر ضمانة للوصول إلى نص صحيح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خذوا الآن ما شئتم من النصوص التي نُشرت ، فستجدون أنّ كلا منها قد نُشر على نهج . فمن المحققين من يقلّد المستشرقين تقليدا أعمى ، ومنهم من يزدري طريقتهم ، ومنهم من يجمع النسخ المخطوطة للكتاب قبل نشره ، و يدرسها ويختار الاصل الصحيح منها ،ومنهم من يُهمل فعلَ ذلك. ومنهم من يعتمد على نسخة متأخرة لا شأن لها ،ويهمل المتقدمة الصحيحة، أو لا يحاول رؤيتها ، ومنهم مَنْ يظن أن التحقيق هو كثرة الشرح والتعليق ، حتى يأتي الكتاب مثقلا بشروح طوال ، قد تكون أوسع من المتن ، رغبة في إظهار علمهم . ومنهم مَنْ يقتصد في ذلك و يقتنع بذكر اختلاف النسخ فقط .

ثم قايسوا إنْ شئتُم مطبوعات المؤسسات العلمية بعضها ببعض ، فسترون أن ما نشرته دار الكتب المصرية يختلف في نهجه عما نشرته الجامعة المصرية ، وما نشره اليسوعيون في بيروت يختلف في نهجه عما نشرته الجامعة العثمانية بحيدر أباد ، وما نشره المجمع العلمي بدمشق يختلف في نهجه عما نشره مجمع بغداد ، بل إنكم تجدون في سلسلة واحدة تنشرها إحدى المؤسسات اختلافا في نهج كل كتاب ، كسلسلة ذخائر العرب ، أو سلسلة لجنة إحياء التراث الاسلامي في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، بل حتى في مطبوعات مجمع دمشق في السنوات الأخيرة .

ورغم أن بين أيدي الناس قواعد تدل على طرق النشر ، فإن الكثرة لا تتّبعها . كأصول نقد النصوص للمستشرق برجستراسر ، وتحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ، وقواعد تحقيق المخطوطات لكاتب هذا المقال .

كل هذا أشاع الفوضى في التحقيق ، حتى أصبح التراث في السنوات الأخيرة ألعوبة في أيدي المبتدئين . وراح كلُ منهم ينشر على هواه ، وظهرت نصوص ، لم يتبع في تحقيقها المنهج الصحيح ، امتلأت اخطاءً وأقتحم هذا الميدان من ليس له فيه كفاءة،ولا معرفة،وأصبح نشر التراث وسيلة للرزق والاتجار.

وإذا كنا قد نعذر ـــ اضطرارا ـــ بعض المبتدئين إذا لم يوفقوا في النهج،فكيف يمكن السكوت على علماء كبار ، المفروض فيهم أن يتقيدوا قبل كلّ شيْ بالمنهج العلمي الصحيح ، وإذا بهم يُخالفون أولي قواعد المنهج ، وهي اختيار النسخ والاعتماد على القديم الصحيح منها فقط .

فالمتفق عليه أنّ أحسن نسخة مخطوطة لأي كتاب هي نسخة المؤلّف ، إذا وُجدتْ . ثم نسخة قرئت على المؤلف ، أو قرأها علماء كبار وقابلوها على الأصل . وكلّما اقترب عهد النسخة من المؤلّف ، قلّ فسادُها ، وإنما يأتي فساد النُسخ من النسّاخ ، وهم جَهَلَةُ أغلب الأحيان . فلا يجوز مثلا أن نحقق مخطوطة معتمدين على نسخة متأخرة أو كثيرة التصحيف والتحريف ، مع وجود نسخ قديمة صحيحة . (٥) .

ولعل أعظم فضيحة في هذا العصر ، في هذا الباب ، ما وقع به الاستاذ العالم عبد السلام هارون عندما نشر «كتاب سيبويه» . فهذا الكتاب هو من أعظم كتب تراثنا اللغوي . قال عنه السيرافي : «لم يسبقه إلى مثله أحدُ قبله ، ولم يلحق به مَنْ جاء بعده» ، فهو إذن جدير أن يُصرف إليه من العناية والدقة ما لا يُصرَف إلى غيره .

اعتمد الاستاذ هارون في تحقيقه الكتاب على المخطوطات الآتية :

١ ـــ اتخذ أصلا المخطوطة ٦٥ نحوم من دار الكتب . وصفها هو فقال عنها : «**مجهولة الكاتب والتاريخ**» . ولم يحدّد تاريخ كتابتها على وجه التقريب ، ولم يذكر الأسباب التي دفعته لاتخاذها أصلا .

٢ ـــ و بعد أن مضى في التحقيق ظهر له أنّ المخطوطة ١٤١ نحو (دار الكتب) أصحّ من أصله الأول . فاعتمد عليها . وهذا يدلّ على أنه لم يدرس المخطوطات الموجودة قبل البدء بالتحقيق . وهذه المخطوطة حديثة ، كتبتْ سنة ١١٣٩ ، ولم يذكر أي مزية لها .

٣ ـــ ورجع الاستاذ هارون إلي مخطوطة أخرى بدار الكتب رقمها ١٢ نحوش . كتبت سنة ١٣٠٥ هـ .

٤ ـــ ورجع إلى مخطوطة بدار الكتب رقمها ١٣٩ م نحو ، وصفها هو فقال : «**الانتفاع بهذه النسخة جد عسير** ، ولا تصلُح لغير الاستئناس ، وهي اوراق متناثرة بخطوط مختلفة ، بعضها أحدث من بعض ، فيها كثير من القفزات» . (مقدمة هارون ص ٥٥ ، ٥٦) .

ومعنى هذا أنّ جميع هذه المخطوطات حديثة ، لا يَصلُح ايٌّ منها أن يُتّخذَ أصلا .

ولو أنّه لم يكن في المكتبات إلاّ هذه النسخ ، لما جاز للاستاذ هارون نشر الكتاب عنها . مع أن هناك أصولا قديمة لهذا الكتاب ، برواية علماء كبار ، أهملها هارون ولم يرجع إليها .

١ ـــ ففي مكتبة كوتاهية ـــ وحيد باشا ، بتركيا ، مخطوطة رقمها ١٤٨٤ . جاء في آخر الجزء الأول منها : «نجز الجزء الأوّل من كتاب سيبويه ، وهو عُشر الكتاب ، بخط عبد الله بن عُبيد الله المرادي الأندلسي ، المتوطن بدمشق . فرغ من كتابته في ربيع الآخر سنة اربع وثمانين وخمسماية» (٥٨٤ هـ) .

٢ ـــ وفي مكتبة كوبرولى مخطوطة من الكتاب برواية الرباحي النحوي ، المتوفي سنة ٤٤٨ هـ . وهي من القرن السابع الهجري ، وعلى أطرافها هوامش ثمينة جدا .

٣ ـــ وفي مكتبة مراد مُلاّ ، مخطوطة رقمها ١٧١٧ . بخط مغربي ، كتبها عبد الرحمن بن عبد العزيز السعدي المرّاكشي ، سنة ٦٠٥ هـ .

٤ ـــ وفي جامعة برنستن بالولايات المتحدة ، مخطوطة رقمها ١٣٣٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مجموعة يهودا) برواية ابن ولّاد النحوي ، المتوفي سنة ٢٩٨ هـ ، تلميذ المبّرد وثعلب. في آخرها: «نُقل النصف الثاني من خط ابن يعيش، والنصف الأول من نسخة قديمة ، ومن نسخة بخط ابن برّي .»

فكيف يجوز أن ينشر عالم مثل هارون «كتاب سيبويه» عن مخطوطات «مجهولة التاريخ والكاتب» ، أو حديثة العمر ، أو الانتفاع بها جدّ عسير ، و يُهمل مخطوطات من القرن السادس والقرن السابع ، برواية كبار النحاةُ ، أو نقلت من خطوط كبار النحاة ؟ .

أليس هذا استهتارا بأثر عظيم من تراثنا ؟ ألا يدفع هذا ، صغار المحققين على تقليده في اختيار النسخ الفاسدة ؟ .

وليت الاستاذ هارون استفاد من شروح الكتاب القديمة . فهناك في مكتبة أحمد الثالث نسخة من شرح السيرافي، كتبت سنة ٤٤٣ هـ .(انظر أيها القارئ الكريم جيدا . سنة ثلاث وأربعين وأربعماية) .

وهناك مخطوطة ثانية من شرح السيرافي كتبت سنة ٦٠٤ ، وهي منقولة من خط السيرافي نفسه ، وقد قوبلت على الأصل وصححت . وهي في شهيد علي .

إنه لم يرجع إلى شرح السيرافي ، بل رجع إلى شرح الشنتمري المطبوع ، «عن نسخة مفعمة بالتحريف» كما قال هارون . مع أن في مكتبة عاشر افندي نسخة قديمة من شرح الشنتمري كتبت سنة ٥٧١ هـ .(٦) .

فهذا مثال واضح عن سوء التحقيق ، وعدم الاعتماد على الأصول الصحيحة .

وكأنما فتح الاستاذ هارون بعمله الباب للمحققين ، حتى الكبار ، للاعتماد على نسخ سقيمة ، لا يصح الاعتماد عليها .

فهذا الدكتور احسان عباس ، العالم المعروف ، نجده ، عندما حقق كتاب «الروض المعطار» للحميري ، يعتمد على مخطوطتين : الاولى بيرم رقم ٤٤ ، وصفها فقال : مكتوبة بخط نسخي .. **فيها قلة عناية بالاعجام ، وتصحيف كثير في أسماء الأعلام عل (كذا) وجه الخصوص ، و يكثر فيها سقوط عبارات كاملة ، والناسخ يضرب على ما يريد حذفه بالقلم غير متقيّد بالطريقة التقليديّة في الترميج .»** .

والثانية : نسخة حديثة جدا ، كتبت في هذا القرن ، كانت في ملك المرحوم الشيخ محمد نصيف ، نُقلت عن نسخة عارف حكمت بالمدينة ، التي وصفها الشيخ عبد الرزاق آل حمزة بقوله : **«كثيرة التحريف والغلط والتصحيف»** .

وقد اعترف الدكتور احسان «أنّ النسخة سقيمة ، لا يُمكن الاعتماد عليها وحدها بأية حال » .

ثم قال : «ولم يكن في الإمكان إقامة نص سليم في معظمه اعتمادا على هاتين النسختَيْن» .

فكيف يجوز إذن نشر معجم جغرافي ضخم ، بالاعتماد على هاتَيْن المخطوطتَيْن السقيمتَيْن ، المملوءتَيْن بالتحريف والغلط ، والتصحيف والسقط ؟ وكيف يجوز أن يكون ناشره احسان عبّاس الاستاذ الجامعيّ ؟ .

ورغم أن الاستاذ احسان اعترف أنه استفاد من أعمال المستشرقين ليفي بروفنسال ور يتز يتانو فيما نشراه من هذا المعجم ، وأنه استفاد من ملاحظات الشيخ عبد الرزاق آل حمزة ، وأنّ صديقنا العلاّمة الشيخ حمد الجاسر راجع قسما من مواد الكتاب ، وزوّده بتعليقاته المفيدة ، رغم ذلك كلّه بقي النصّ في أماكن كثيرة ناقصا ، أو مُصحفا ، أو مبهما .

فقد وقعت لي اوراق مخطوطة مدشوته عند بائع كتب قديمة في استامبول ، فاشتر يتُها . وتبيّن لي بعد فحصها ودراستها أنها من الروض المعطار . ولعلها من القرن العاشر . فقابلت مطبوعة احسان عباس على ما فيها . فوجدتُ ماذكرته من النقص والتصحيف والتحريف . وسأفرد مقالة خاصة لبيان ذلك مفصّلا إن شاء الله .

وإن من المؤلم حقا أن يُستهان بالتراث ، وأن لا يتقيّد الاساتذة الكبار بقواعد التحقيق ، وخاصة في نصوص كبيرة هامة ذات شأن .

إن عمل الدكتور احسان عباس يُعتبر مغامرة فاشلة . ولنا أن نقطع أنّ النص المنشور غير نهائي ، ولابُدّ من إعادة نشره عند وجود مخطوطات جديدة .

وهكذا نرى أن بين هارون والعباس ، شوّه التراث من الأساس .

وإذا كنا ذكرنا ما وقع به عالمان كبيران من مخالفة أصول التحقيق ، في الاعتماد على نسخ خطية متأخرة سقيمة ، فان محققين آخر ين ، وقعوا في أخطاء أخرى تخالف المنهج الصحيح . وهي عجيبة .

فنهم من **يزعم أنه حقق الكتاب ، ولا يحقق اسم الكتاب** . كما فعل الشيخ ناصر الدين الألباني . فقد نشر كتابا لشيخ الاسلام ابن تيمية سماه «الكلم الطيب» ، ظهر في مطبوعات الشيخ زهير الشاو يش في بيروت ، وكتب علي آخر طبعة رأيتُها : «هذه الطبعة محققة تحقيقا علميا دقيقا» . وقد عجبنا من هذا التحقيق الدقيق ، واسم الكتاب لم يُثْبَت على الصواب . ذلك أننا اطلعنا على نسخة قديمة من الكتاب أثبت الاسمُ فيها **«جوامع الكلم الطيّب»** . عنوانه هكذا :

كتاب فيه جوامع الكلم الطيّب

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة .. تقيّ الدين أبي العباس أحمد بن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة الحرّاني ، أمتع الله المسلمين ببقائه .. والنسخة كتبت سنة عشر وسبع ماية . وفي آخرها خط ابن تيمية . وفيه :

«سمع عليّ عدّة فصول من أول الكتاب صاحبه الأميرُ المجاهد الكبير بدر الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين محمود بن اسمعيل وناولته سائره ، وأجزتُ له أن يروي عني ما يجوز أن يروى عني ، والله يمتّعه بالعلم والدين ، ويجعله من عباده الصالحين . وذلك يوم الأحد ثاني عشري شهر رمضان سنة ثنتي عشرة وسبعماية . كتبه أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية» .

وليس من مجال للشك بأن ما أثبته الشيخ الألباني اسما للكتاب هو غير صحيح .

وقد كانت هذه النسخة عند المرحوم أحمد خيري في مصر ، رأيتُها عنده . وهي اليوم في جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض ولعل الشيخ زهيرا يُعيد طبع الكتاب باسمه الصحيح .

ومنهم **مَنْ يعتمد على مخطوطة ولا يذكر اين توجد** ، ولا رقمها . كما فعل صديقنا الشيخ الدكتور عبد الله عسيلان في نشرته كتاب «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز» للآجرّي . فقد اعتمد على مخطوطة لم يذكر اين وجدها ، ولم يصفها ، ولم يذكر رقمها . وهذا عجيب ! .

وقال إنه لم يعرف أحدا أفرد عمر بالتأليف سوى ابن الحكم وابن الجوزي ، وأحمد بن ابراهيم الدورقي ، وعبد الرؤف المناوي . ونفيده نحن أن هناك كتابا آخر عن عمر اسمه «المنتقى الوجيز من مناقب عمر بن عبد العزيز» للاخميمي ، المتوفي سنة ٧٨٥ هـ ، ومخطوطته في الفاتيكان ، رقمها ١٤٥٧ . فهذا عدم دقة واستقصاء منه .

وممن عمّى على مكان المخطوطة المعتمد عليها الدكتور ابراهيم السامّرائي ، عضو مجمع بغداد . فقد أعاد نشر «كتاب الكُتّاب» لابن درستويه ، هو والدكتور عبد الحسين الفتلي . وقالا : «عثرنا على نسخة مغربية ضمن مجموعة من مخطوطات لغوية» . فأحالا مجهولا على مجهول . هل هي نسخة كتبت بالخط المغربي ، أم هي في مكتبات المغرب ؟ وما وصفها ، وتاريخ نسخها ، ورقمها ؟ .

أليس هذه الأمور هي أوّل ما نُعلّمه لطلاّبنا ؟ .

ومنهم **من ينشر كتابا فلا يرجع إلي أيّ مخطوط قط** ، و يزعم أنّه حققه . كما فعل الدكتور عبد الرحمن عميرة ، في كتاب «خَلْق أفعال العباد» . فقد اعتمد على مطبوعة سابقة ، وقال : «والآن نعيد **طباعته طبعة محققة كاملة** و بالله التوفيق» ! .. ولم يكن في عمله أيّ تحقيق .

وأصيب التراث المحقَّقُ ببلاء شديد ، من بعض اساتذة الجامعات ، الذين يكلّفون تلاميذهم ، أو زميلاتهم ، العمل في نصوص يريدون نشرها ، ثم يضع الاستاذ اسمه على الكتاب على أنه هو المحقق . وقد أدّى ذلك إلي هبوط مستوى التحقيق . و يعجبني في ذلك جرأة صديقنا الدكتور شكري فيصل ، عضو مجمع دمشق وصراحته . فعندما حقق ديوان أبي العتاهية الذي جمعه ابن عبد البرّ اعتمد على مخطوطتين غير جيّدتين . وفاته الاطلاع على نسخة جامعة برنستون ، ونسخة معهد الدراسات الشرقية بلينينغراد . ووصف كيف حقق الكتاب فقال :

« وفي ذهني طائفة من طُلاّب قسم اللغة العربية آثرتُ أن أسلك بهم طريق الدراسة والتحقيق .. تفتيحا لقواهم ، ووفاءا بالأمانة لهم . فلقد أعانوني في مراحل العمل . أعانني بعضهم في مقابلة النسخة ظ ، وأعانني بعضهم في مقابلة دقيقة متّصلة للنسخة ت ، ولازمني بعضهم خلال أشهر من طبع الديوان فعرض معي بعض الأمّهات ، ونظر في بعض المصادر ، وشارك في النّسْخ والمقابلة . فكان حقا عليّ في مثل حق الولد على الوالد أن أذكرهم مقدّرا جهدهم ، سائلا الله سبحانه أن يشدّ أزرهم على طريق الوفاء بالعهد الذي أخذوا على أنفسهم في متابعة عربيّة القرآن ... وأداء لحق هذا الوطن الكبير في لغته وتراثه » المقدمة ص ٢٠ .

وهذا الوصف لايدع مجالا للشك في أنُ الذي قام بالتحقيق كلّه ، أو جلّه ، من نسخ ، ومقابلة ، ومراجعة وغير ذلك هم التلاميذ ، «تفتيحا لقُواهم ووفاء بالأمانة لهم » . وإني لأتساءل لماذا لم يُفتح قواهم و يعلّمهم التحقيق في نصوص لا يدّعيها لنفسه ، أو يذكر عليها اسمه وحده . ألم يكن أولى بالوفاء لهم أن يدفعهم إلي نشر النصوص بأسمائهم تشجيعا لهم ، بدلا من إبقاء أسمائهم في ذهنه ؟ .

ومما أُصيب به التُراث في تحقيقه أنّ بعض المبتدئين أو المتعالمين ، أو ذوي المناصب ، يكلّفون بعض العلماء أو الزملاء تحقيق كتب لهم ، لقاء أجر يدفعونه لهم ، ثم يضعون اسمهم على الكتاب على أنه من تحقيقهم . وهذا تزوير وتدليس ، يرتفع به الجهلاء إلي مرتبة العلماء ، دون علم يعرفونه أو جهد يبذلونه . وهذا الأمر قد يتصل بالأخلاق مباشرة . وعندنا قائمة بأشباه هذه الكتب ، وأسماء مَنْ ادعى تحقيقها ، ومَنْ حقّقها فعلا . وفيهم عربٌ ومستشرقون مبتدئون . ولم أشأ أن اذكر أسماءهم لئلا أحرجهم . وإنما أردتُ التنويه بهذا الأمر فقط .

وبلاءٌ آخر يدعو إلى الألم هو أنّ بعض المكتبات العامة ، تشجع ظهور نصوص غير محققة جيّدا،وتشتري منها نسخا بمئات الألوف من الريالات،لتوزيعها . كما فعلت احدى المكتبات من شراء الف نسخة من كتاب «زاد المعاد» بمئة الف ريال كما نقل إلينا . وبمثل هذا المبلغ كان يمكن تحقيق عشر كتب أحسن تحقيق . وقد اعتمد محققا الكتاب على مخطوطتين ناقصتيْن . في الأولى يوجد الجزء الرابع . ولا ندري على أي شئ اعتمدا لتحقيق الجزء الأول . هذا مع أن في مكتبات العالم عشرين نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ، بعضها من عصر المؤلف . فكيف يجوز مثل هذا التحقيق ، وكيف يجوز مثل هذا التشجيع ؟

والعجيب أنك لا تجد في المجلدات الخمسة من الكتاب أيّ تعليقة تدلّ على اختلاف في النسختين ، أو اختيار نقطة بدلا من أخرى . فالجهاز النقدي معدوم تماما . ولا تجد كذلك في آخر الكتاب فهارس مفصّلة للموضوعات ، ولا للأحاديث ، ولا للأعلام . وكأنما حسب المحققان أن معنى التحقيق هو تخريج الأحاديث فقط ! .

وقد قابلت هذه المطبوعة على بعض مخطوطات رأيتُها . فوجدتُ فيما طُبع نقصا ، وعبارات غير صحيحة ، واختلافا في الترتيب . وسأفرد مقالا خاصا لهذا الكتاب إن شاء الله أبيّن فيه ذلك كلّه .

وبعد فهذه عُجالة عرضنا فيها بايجاز ما يحيط بالتراث العربي من مشكلات ، وما أُصيب به من البلايا . والكلام ذو سعة . فإذا أهملنا شيئا فلأن المجلة لا تتسّع لأكثر من هذا . وسنتكلم في مقال تالٍ على ما أصاب التراث العربي من الناشرين ، أعني دور النشر ، في البلاد العربية . وهناك عجائب أدهى وأمرّ . والحمد لله .

بيروت

صلاح الدين المنجد

هوامش

١ ــ انظر كتابنا : لمحات من تجاربي الفكرية ص ٢٨ ــ ٣٣ .

٢ ــ انظر : قواعد فهرسة المخطوطات . بيروت ١٩ .

٣ ــ ماذا ننشر من المخطوطات القديمة وكيف ننشرظهر في(مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٢ ، ١٩٥٨) ص ٢٠٨ وما بعدها .

٤ ــ انظر رسالتنا : تحقيق النصوص عند علماء المسلمين .

٥ ــ انظر «قواعد تحقيق المخطوطات» ، لنا .

٦ ــ انظر لمعرفة مخطوطات سيبويه في العالم دراستنا المقدمة إلي المؤتمر الألفي لسيبويه،المنعقد في شيراز،نيسان ١٩٧٤ . طبع بيروت ١٩٧٤ .

واعلم ان المقصور كله اذا اضيف الى مكني
تم كتاب المقصور والممدود

تكشيف كتب التراث

عبد الوهاب عبد السلام أبو النور*

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، والصلاة والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أما بعد .

فإن الموضوع الذي نبحثه الآن هو «تكشيف كتب التراث» . وقد يكون من المفيد في بداية هذا البحث أن نعطي بعض التعريفات ، وخاصة تلك التي تتعلق بالتكشيف ، وذلك لأن الكلمة لا تزال حديثة الاستعمال نسبيا .

كلمة تكشيف تقابل الكلمة الانجليزية Indexing وهي التصريف الرابع من الفعل to index وكلمة Index اسم وفعل في آن واحد ، فهي تعني العملية نفسها ، كما تعني الناتج والفعل: لاكشف ، والناتج : كشاف . فعندنا الآن ثلاثة ألفاظ هامة كشاف، يكشف ، تكشيف . والقائم بالعمل هو المكشف Indexer والحقيقة أن لفظ كشاف ومشتقاته يدل على أشياء كثيرة ومدى واسع من الكشافات . وقد يحسن في البداية أن نعطى تعريفا جامعا للفظ «كشاف» . والحقيقة أن هدفنا من هذا البحث ليس إعداد دراسة نظرية عن الكشاف والتكشيف ، وليس دراسة الأساليب الفنية التى يتضمنها التكشيف . ولذلك فسوف نكتفي بتعريف قياسي للفظ هو ذلك الذي أوردته دائرة معارف علم المكتبات والمعلومات :

Encyclopedia of Library and Information Science

وأقول أنه تعريف قياسي لأنه مأخوذ عن :

American National Standards Institute, U. S. A.
Standard Basic Criteria for Indexes, 1968.

أى أن المعهد القومي الأمريكي للمواصفات القياسية قد وضع معايير قياسية لاعداد الكشافات وقد ورد التعريف في مقال الدائرة عن :

Index Indexer Indexing

تقول الدائرة :

«الكشاف عبارة عن دليل مقنن إلي الوحدات التي تتضمنها مجموعة ما ، أو المفاهيم المشتقة من هذه المجموعة . هذه الوحدات أو المفاهيم المشتقة يتم تمثيلها بواسطة مداخل ترتب في ترتيب معروف أو مقدر سلفا،مثل الترتيب الألفبائى (الأبجدى) ، أو الزمني ، أو الرقمي .

« ... و يستعمل اللفظ مجموعة Collection ليدل علي أى جسم

* دكتوراه في المكتبات من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢ م . أستاذ مشارك في قسم المكتبات بجامعة الامام ، أستاذ مساعد بقسم المكتبات بجامعة القاهرة . من أبرز أعماله إشرافه على تحرير البيليوجرافية الموضوعية العربية والتى صدر منها حتى الآن سبعة أجزاء .

من المواد التي يتم تكشيفها ــ نص مفرد أو مركب (مثال ذلك : الأبحاث المفردة monographs المختارات ، دائرة المعارف ، الدورية) ، أو يعني جماعة من هذه النصوص ، أو فئة من الايضاحيات (مثال ذلك: الخرائط، الرسومات، المستنسخات من الأعمال الفنية، أو الموضوعات الأخرى).

و يستعمل لفظ وحدة item لكي يعني أي كتاب ، أو مقال ، أو تقرير ، أو مستخلص ، الخ ، (أى : وحدة مستقلة من نص ، جزء من مجموعة ، مثل : فقرة في كتاب ، مقال في مجلة أو جريدة ، وثيقة في ملف ، جزء من شريط ، واحدة في سلسلة من الرسومات ، أو ماشابه ذلك ، أو أى من البيانات أو المعلومات التي تشتمل عليها أى واحدة من تلك المواد) .

« والمدخل هو الوحدة unit الأساسية للكشاف ...» (١).

ومن التعريفات السابقة يمكن أن نصل الى عدد من الخلاصات ، منها :

١ ــ أن الكشافات أنواع كثيرة ، و يرتبط النوع بنوع المادة المكشفة .

هناك كشافات للدوريات ، وهناك كشافات للنصوص ، بل إن هناك كشافات بقدر ما هنالك من مواد أو مجموعات .

٢ ــ أن الهدف من عملية التكشيف هو تحقيق الذاتية ، أى إفراد عناصر معينة أو مفاهيم معينة وتجميعها وترتيبها ترتيبا مقننا مفيدا ليسهل الوصول إلى المواد في داخل نص ما أو مجموعة ما .

٣ ــ ولذلك فلابد من طريقة لربط المدخل الذي تم إفراده بالنص أو المجموعة ، أي : تحديد مكانه داخل النص أو المجموعة .

٤ ــ أن قيمة الكشاف تتزايد كلما تزايد حجم المجموعة وتشابك المصدر . فإذا كان المصدر رسالة صغيرة أو كتيبا فإن الوصول إلي المحتوي لا يكون أمرا صعبا دون كشاف . أما الكتب الدراسية وما شابهها فإنها تحتاج إلى كشاف ، إذ تصل إلى مئات الصفحات . فإذا ما وصلنا إلى كتاب يتضمن عدة مجلدات ، أو الأعداد الكاملة من مجلة ، فإن الوصول إلي المحتوي يصبح أمرا مستحيلا دون كشاف . وهكذا كلما كبر العمل وتزايد تشابكه كلما مست الحاجة إلي الكشافات .

وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد عند الحديث عن أعمال التراث .

ولعله قد اتضح من كل ما سبق أن الحديث عن الكشافات والتكشيف يمكن أن يشتمل علي جوانب متعددة : من حيث الأنواع ، ومن حيث الأهمية ، ومن حيث طرق التكشيف وأساليبه ، ومن حيث التطور ، ومن حيث وصف الكشافات نفسها ، وهكذا .

وكما ذكرت فليس هدفنا أن نعد بحثا نظريا عن الموضوع ، إنما هدفنا في المحل الأول توجيه الاهتمام إلى أعمال التراث وضرورة تكشيفها بما يحقق الاستفادة الكاملة بنصوصها . وليكن هذا البحث مقدمة أو مدخلا للحديث عن هذا الموضوع الحيوى ، بما يكفي لإثارته وتوجيه الاهتمام إلى تراثنا .

ما التراث

إذا كنا قد نجحنا حتى الآن في تعريف الكشاف والتكشيف ، وهو اللفظ الأول في عنوان البحث ، فمن الضروري أن ننتقل الآن إلى اللفظين الآخرين :

وهما : كتب التراث .

ولنبدأ بالثاني منهما وهو التراث . فما الذى نعنيه بلفظ التراث ؟

تعني كلمة تراث مفهوما واسعا ، يضم نتاج الحضارة من علم وفكر وفن وآثار ...

كما تغطي مدى زمنيا واسعا إذ يضم التراث نتاج القرون التي شهدت النشاط العلمي للأمة العربية الأسلامية قبل بدء العصر الحديث ، و يضم كذلك الأعمال الحديثة في الموضوعات القديمة ، وإن لم تكن هذه الأعمال جزءا من التراث ، إلا أن كل فن لا يخلو عن التوابع المكملة له .

وفيما يتعلق بالتكشيف ، فإن أعمال التراث التى تحتاج إلى التكشيف هي : (٢) .

١ ــ الكتب ، وتشمل الكتب المطبوعة أما المخطوطة فلا يمكن تكشيفها لأنها غير متداولة ، ولسنا نريد أن نوسع الآن مفهوم اللفظ بحيث يعني فهارس المخطوطات ، فلهذه مشكلات وقضايا مستقلة .

و يدخل في الكتب أعمال التراث نفسها والأعمال عنه .

٢ ــ المجلات ، و يتضمن تكشيفها تحليلا موضوعيا ووصفيا للمقالات التي تتضمنها المجلات التي تهتم بموضوعات التراث ، مثل الدين الأسلامي ، واللغة العربية ، والأدب العربي ، والحضارة الاسلامية ، والتاريخ ، وكل ما يدخل في الدراسات العربية الاسلامية بالمعني الواسع .

والحقيقة أننا لا نريد هنا أن نخلط بين وظيفة الكشافات ، ووظيفة الببليوجرافيات . فالأولى تتعلق بالتحليل الموضوعي والوصفي للمحتويات ، أما الثانية فتتضمن بيانات كافية عن مصادر المعلومات ، وتتضمن كل هذه المصادر وليس نوعا واحدا فقط من المواد .

والحقيقة أن هدفنا أيضا ليس الحديث عن أهمية الببليوجرافيات ، وخاصة الموضوعية منها ، في توفير مصادر المعلومات أمام الباحث وتوفير وقته وجهده . (٣).

إن ما سوف ندرسه هنا هو تكشيف الكتب فقط أى تحليل نصوص التراث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكشيف كتب التراث

يحتاج تحقيق المخطوط ونشره وخدمته إلى قسمين من العمليات :

١ ـ إقامة النص ، أى تحرير النص في شكل يجعله أقرب ما يكون إلي الصورة التي كتبها مؤلف الكتاب .

٢ ـ خدمة النص ، وهذه تتضمن بدورها نوعين من الخدمة :

(أ) خدمة النص بالتعليقات والشروح .

(ب) خدمة النص عن طريق التكشيف ، وهي ما نعنيه الآن.

وقد شاع بين العاملين في حقل التأليف والنشر استعمال كلمة فهارس للتعبير عن هذا النوع من الخدمة .

وهناك أنواع كثيرة من كشافات الكتب ، ترتبط بالحاجة والهدف ومستوى التحليل المطلوب ، و بالتالي تتفاوت في درجة التفصيل .

في أحد الطرفين نجد قائمة المحتويات لتي توجد في أي كتاب ، فهي عبارة عن ملخص لمحتويات الكتاب علي هيئة رؤوس الفصول التي يقيمها هذا الكتاب . وقد تمضى قائمة المحتويات أبعد من ذلك فتعطي تحت كل فصل مجموعة المباحث التي يشتمل عليها . وقائمة المحتويات يعدها المؤلف عادة ، وهي تسير على نفس ترتيب الكتاب ، الذي يتبع الاطار العلمي في التأليف .

وفي الطرف الثاني يمكن إعداد قائمة تكشيفية لكل ألفاظ الكتاب ، وهي ما يسميه الغربيون Concordance وهي قائمة تتضمن إيرادا للألفاظ التى وردت في كتاب معين ، أو كتب معينة تدمج معا ، وترتب ألفبائياً ومثالها بالنسبة للعربية «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» الذي أعده المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى لألفاظ الكتاب العزيز .

وفيما بين الطرفين هناك أنواع كثيرة من الكشافات تتفاوت علي مستوي التحليل ، وهذا يتوقف بدوره علي أهمية النص ، ومدي غناه بالأفكار والموضوعات ، وحاجات الباحثين إلى استعمال هذا النص والاستفادة منه ، الخ .

والغرض الرئيسي من إعداد كشافات لكتاب ما ، هو أن نبرز كل الألفاظ والمفاهيم ذات الدلالة والتي يشتمل عليها الكتاب ، بحيث نجعل كل لفظ أو فكرة مدخلا مستقلا ، بحيث نكون أفردنا كل جزئية صغيرة أو كبيرة ، و يسجل أمام المدخل الصفحة أو الصفحات التي ورد بها من النص،وإذا كان العمل في أكثر من مجلد يسجل قبل الصفحة رقم المجلد،بحيث يستطيع القارئ أن يصل الي المعلومة التي يريدها بسرعة وسهولة.

وفضلًا عن كلمة المدخل ، تذكر المعلومات المرتبطة بها تحتها إمعانا في التحليل والتخصيص . فلو فرضنا أن لفظا ما ورد عشرين مرة في نص معين ، فلو أنني سجلت اللفظ كمدخل وتحته الصفحات التي ورد فيها فقط فسوف يكون علي الباحث أن يستعرض كل الأماكن التي ورد فيها اللفظ حتي يصل إلي الجزئية التي يريدها . أما إذا سجلت تحت اللفظ الموضوعات التي يرتبط بها في كل مرة فسوف يوفر هذا علي الباحث مثل هذا العناء .

وإن وجود مثل هذه الكشافات أمر لاغني عنه بالنسبة لأي كتاب ، فضلا عن الكتب الضخمة ، إذا أن البديل عن ذلك هو قراءة الكتاب كله أو أجزاء كثيرة منه للوصول إلى المطلوب . ولاشك أن هذا يستغرق من الباحث وقتا طويلا وجهدا كبيرا ، ويجعله أميل إلي الاستغناء عن البحث . هذا فضلا عن أن هذه الطريقة العفوية نادرا ما توصل الباحث إلي ما يريد . ومن ثم يأتي بحثه ناقصا في الأعم الأغلب من الحالات . فالتكشيف ليس وسيلة لتوفير الوقت والجهد فقط ولكنه وسيلة لكمال البحوث إذ تكتمل مصادرها ، وغيابه يؤدى إلى عدم كمال البحوث بسبب نقص في مصادرها .

وإن الحياة الحديثة بإيقاعها السريع لا تعطي الباحث وقتا كي يضيعه في تتبع مصادر المعلومات ، فإذا ما أمكن أن يقوم أفراد معينون بإبراز مصادر المعلومات وترتيبها ترتيبا مفيدا ييسر الوصول إليها فإن هؤلاء الأفراد ـ المكشفون ـ يسدون خدمات جليلة إلى العلم والبحث العلمي.يقول السيد محمد رشيد رضا في مقدمة لكتاب (مفتاح كنوز السنة) : «فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفرعليّ ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها »(٤).

هذا عن كتاب واحد أعد لمصادر الحديث النبوي الشريف ، فما بالك إذا توافر لدينا جهاز كامل من الخدمات الببليوجرافية والتكشيفية للسيطرة علي مصادر المعلومات وتنظيمها .

الحقيقة أن الحضارة الحديثة مدينة لتنظيم المعلومات ، فلولا هذا التنظيم لما تمت البحوث ، وبالتالي ماتقدم العلم ، الذي هو أساس الحضارة الحديثة . ولذلك لا عجب وجدنا الغربيين يهتمون اهتماما كبيرا بكل جوانب تنظيم المعلومات وخاصة الجانب الموضوعي ، سواء في المكتبات أو الببليوجرافيات ، أو الخدمات التكشيفية ، الخ .

وفيما يتعلق بكشافات الكتب نجد أن الغربيين قد اهتموا بهذا الجانب اهتماما كبيرا ، فقلما يخل كتاب كبير أو صغير من كشاف يبرز أهم المعلومات فيه حتي أصبح هذا تقليدا متبعا عندهم .

وقد كان الغربيون هم أول من أهتم بدراسة كتب التراث العربي الاسلامي وموضوعاته في العصر الحديث . ولاشك أن دوافعهم في دراسته والاهتمام به غير دوافعنا ، ولاشك أيضا أن آراءهم واتجاهاتهم غير نزيهة أو موضوعية في كثير من الحالات . وليس هنا مجال الحديث عن هذا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموضوع . ما نقصده هو أن الغربيين حينما بدأوا يدرسون كتبنا ويهتمون بنشرها وتحقيقها ، اهتموا في ذات الوقت بعملية اعداد فهارس أو كشافات لهذه الكتب لابراز أهم المعلومات التي اشتمل عليها النص .

وقد اهتموا أول ما اهتموا بالكتاب الكريم،ثم بالسنة النبوية المطهرة،وأعدوا كشافات للكتب التي قاموا بتحقيقها ، وفهارس للمخطوطات ، وكشافات للمقالات التي كتبوها هم ، إلي غير ذلك من مجالات الاهتمام . وقد أشرنا من قبل إلى ماقاله السيد محمد رشيد رضا عن كتاب (مفتاح كنوز السنة) .

والحقيقة أن بحثنا هذا هو عن «تكشيف كتب التراث» وليس استعراضا لكشافات كتب التراث . ولذلك فلا يسعنا في هذا المقام أن نتحدث عن هذه الكشافات إلا في ألفاظ عامة مجملة . كل ما نريد أن نقوله هو أن الانتاج الفكري العربي لايزال حتي الآن غير منظم ، في حين أن المستشرقين قد نظموا ما كتبوه هم عن هذا التراث . فالفرص المتاحة أمام الباحث العربي ضئيلة ، وتلك المتاحة أمام الباحث الغربي — في الموضوعات العربية الاسلامية — واسعة . وهذا من شأنه أن يقلل من الاعتماد علي الانتاج الفكري العربي ، وهو المادة الأصيلة في هذه العلوم ، و يزيد من الاعتماد علي الانتاج الفكري الغربي ، وهو المادة الثانوية . والنتيجة الخطيرة المترتبة علي هذا الاعتماد هو تلون الدراسات التي تجري في هذا النطاق — حتي تلك التي يعدها باحثون مسلمون — بوجهات نظر المستشرقين ، أيا كانت هذه الوجهات ، لأن المادة الأصيلة غير متاحة . وهذا هو الهدف الذي يسعون إليه ، فكأننا بعدم تنظيم مصادر المعلومات في علومنا نحقق لهم دون كد أو عناء ماير يدون ونهدم قيمنا وعلومنا بأيدينا . وقد أردت من هذا فقط أن أجسم المشكلة أمام الهيئات العلمية حتي تدرك مدي الخطر وتسارع إلي تلافيه .

علي أية حال ، لقد اهتم المحققون من عرب وغيرهم بإعداد أنواع من الفهارس لكتب التراث ، وهي تقتصر في أغلب الأحيان على فهارس تقليدية نمطية مثل فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن وفهرس القوافي ، وفهرس الأحاديث ، الخ ، أي أن المحقق يحدد أنواعا معينة من المعلومات و يعزل كل نوع في قائمة مستقلة و يرتبه فيما بينه . (٥).

والحقيقة أن ما نقصده بعملية التكشيف هو التحليل الكامل للنص بحيث نبرز كل المعلومات التي يشتمل عليها وليس مجرد أنواع معينة من المعلومات سبق تحديدها ، وهذا التحليل لا يصل في كل الحالات إلي درجة تسجيل كل الألفاظ بالنسبة لكتب التراث ، ولكنه يصل إلى حد ابراز كل المفاهيم الهامة . أما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فلا زالا بحاجة إلى عمل هام وجوهري في هذا الخصوص لخدمة كل أنواع الدراسات المطلوبة . وليس هنا مجال تفصيل طبيعة العمل .

والمعيار الهام والأساس الذي يمكن علي ضوئه تحديد الألفاظ والمفاهيم التي يتم تكشيفها — هو أن يضع المكشف نفسه مكان الباحث ، فعملية التكشيف لا تتم في فراغ ، ولا تتم للمتعة الشخصية ، وإنما هي وسيلة لغاية ، هي خدمة الباحث . ودائما يسأل المكشف نفسه هذا السؤال : ما أنواع الأسئلة والاستعمالات التي سيتعرض لها هذا النص بالذات ، وما الطريقة أو الطرق التي سوف يقترب الباحث إلى النص عن طريقها ؟ ولذلك فإنه لا يمكن وضع معايير دقيقة ومفصلة لأن لكل نص طبيعته ، ولكل علم استعمالاته .

وإذا كنا قد نجحنا في ابراز أهمية التكشيف بالنسبة للكتب عامة ، فإننا يجب أن نلقي شيئا من الضوء علي طبيعة كتب التراث حتي تتضح الحاجة الماسة إلى تكشيفها وتحليلها .

شهد التراث العربي الاسلامي ظواهر هامة في التأليف ، منها ظاهرة هامة يجدر بنا أن نشير إليها في ،كلامنا هذا ، وهي ظاهرة التأليف الموسوعي ، أو دوائر المعارف .

وليس منا من يجهل دوائر المعارف ، فهي كتاب يضم بين دفتيه معلومات عن كافة فروع المعرفة وموضوعاتها . ولكن الموسوعة العربية القديمة تختلف عن دائرة المعارف الحديثة من زاويتين :

١ — أن الموسوعة العربية القديمة ترتب ترتيبا مصنفا ، بمعني أنها تسير علي النسق العلمي في التأليف ، بحيث تقسم إلى موضوعات كبيرة ، وتحت كل موضوع مباحث وجزئيات كثيرة لا تكاد تقع تحت حصر . فكل موضوع يحتل بداية كتلة كبيرة من المعلومات تشتمل على تفاصيل كثيرة .

٢ — أن الكثير منها أوسع بكثير مما يدل عليه عنوانها ، أو المجال الذي حدده صاحبها لدراسته ، فقد عرف تراثنا ظاهرة الاستطراد وإيراد فوائد كثيرة بحسب تداعي الحديث . وهناك أمثلة كثيرة على القضية الأخيرة : كتاب صبح الأعشي للقلقشندي المشار إليه فيما سبق ، حياة الحيوان للدميري ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وغير ذلك .

أي أن الموسوعة العربية القديمة كانت تختلف عن دوائر المعارف الحديثة في طريقة التأليف والترتيب . وكلنا يعرف أن دائرة المعارف الحديثة تفتت المعرفة على آلاف كثيرة من المقالات يضم كل منها موضوعا متفردا سواء كان كبيرا أم صغيرا ، وترتب المقالات دائما ترتيبا ألفبائيا لأنه معروف للخاصة والعامة .

وكذلك فإن الدائرة الحديثة يقوم بكتابتها آلاف من العلماء كل في تخصصه ، أما الموسوعة العربية القديمة فقد كان يقوم بتأليفها فرد واحد — باستثناء رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا التي ألفتها هذه الجماعة ، وهي أيضا أفراد قليلون .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

والحقيقة أن الموسوعات العربية القديمة لا تقتصر على الأمثلة التي ذكرناها وما يماثلها من تآليف ، بل إن هناك كتبا كثيرة هي من حيث الحجم والمعلومات التي تشتمل عليها تعد موسوعات ، إن لم يكن في كل العلوم ففي علم واحد أو أكثر . فالكثير من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والطبقات والخطط ، بل الكثير من كتب التفسير والفقه والأصول ، وكتب الفرق ، ومعاجم اللغة وتواريخ البلدان ـــ الكثير من هذه الأنواع جميعا تشتمل على معلومات موسوعية غزيرة وفوائد جمة .

ولنضع أنفسنا مكان الباحث كما ذكرنا ، لو أراد الباحث الوصول إلى جزئية صغيرة من المعلومات ، فماذا يصنع وسط عدد من المجلدات وآلاف الصفحات . إن هذه الكتب هي خزائن للمعلومات ، ولكن الاستفادة منها غير ممكنة على الوجه الأكمل لأن هذه الخزائن لا توجد لها مفاتيح تيسر الوصول إليها . هذه المفاتيح هي الكشافات .

كشافات مؤلفات

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

مما لاشك فيه أن صورة الكشافات التي ندعو إلى إعدادها لكتب التراث سوف تتضح بصورة أفضل وأكمل لو أعطينا مثالا يوضح الأفكار التي عرضناها . وللأسف فان هذه الصورة لا تتحقق إلا في كشاف واحد أعد لمؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب بمناسبة الأسبوع الذي أعدته جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية لدراسة هذه المؤلفات،ولهذا فإنني أعتذر إلى القارئ إذا كان المثال التوضيحي هو هذا المثال الذي أشرفت على إعداده لأنه هو المثال الوحيد الذي يوضح القضية التي ندعو إليها .

قامت الجامعة بجمع مؤلفات الشيخ وطباعتها فجاءت في اثني عشر مجلدا تتضمن أكثر من ٥٦٠٠ صفحة . وهذه المؤلفات تغطي كل علوم الدين الاسلامي من تفسير وحديث وأصول وفقه وسيرة ورد على أصحاب المذاهب وعقائد ، إلى جانب الرسائل التي تغطي كثيرا من هذه الموضوعات أيضا .

وعند وضع خطة العمل وجدنا أن أفضل أسلوب هو عمل كشاف واحد أي إدماج كل المعلومات في تسلسل ألفبائي واحد ، وعدم عزل أنواع من المعلومات في أنواع من الكشافات ، لأن هذا العزل يفترض أن القارئ سوف يقوم هو نفسه بعملية عزل مشابهة . أما الادماج فلا يفترض شيئا من هذا لأن الباحث سوف يذهب توا بالمعلومة التي في رأسه إلى تسلسل موحد فيجدها في مكانها المناسب من هذا التسلسل .

وقد وضعنا انفسنا في مكان الباحث ، و بالتالي قررنا أن نبرز كل المعلومات الواردة في النص ، وهي أنواع كثيرة جدا . ولعل أهم خاصية لهذه الكشافات هي أنه لأول مرة تكشف المفاهيم الموضوعية في صورة المصطلحات العلمية الواردة في النص مع الدلالة على العلاقة بينها و بين مفاهيم أخرى ، بحيث أن الباحث الذى يريد أن يجري بحثا عن موضوع معين من مؤلفات الشيخ يجده مجمعا ، أما إذا كان يريد جزئية واحدة ، فسوف يجدها أيضا ، وكذلك إذا كان يريد اسم شخص أو قبيلة ، أو صنم ، أو مكان ، أو نهر أو بئر ، أو عنوان كتاب ، أو حادثة أو غزوة،الخ. كل هذه المعلومات أفردت على بطاقات مستقلة ، ثم جمعت في النهاية ، وربطت معا ، وأعدت لها الاحالات اللازمة وطبعت في تسلسل واحد .

ولسنا نريد أن نغرق القارئ بتفاصيل العمليات الفنية بدءا بقراءة النص وتحديد استراتيجية التكشيف ، حتى تم طبعه ، المهم أن الكشافات قد صدرت في ثلاث مجلدات كبيرة أولها للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، والباقيات لبقية الموضوعات . والكل مرتب ترتيبا ألفبائيا من الألف إلي الياء . وقد قسمت الصفحة على عمودين ، ونظم إخراج المادة بحيث يخدم قضية الاستفادة .

ولا شئ يوضح الفكرة مثل ايراد نموذج لبعض صفحات العمل .

خاتمة

يطول بنا الحديث لو تناولنا كل جوانب القضية وكل الكشافات وكل أنواع كتب التراث التى تحتاج إلي التكشيف ، والجوانب الفنية . ولكن هدفنا من هذا البحث هو توجيه الانتباه إلي ضرورة الاهتمام بكتب التراث ، وضرورة العمل على تكشيفها ، وتكوين جيل من المكشفين الذين يتمرسون بهذا العمل و يتقنونه و يقومون به خير قيام . ونحن نحسن الظن بأمتنا وبهيئاتها العلمية وعلمائها ، ونثق أنهم سوف يلتفتون إلى قيمة العمل و يعملون على تحقيق الفكرة .

مـــــلاحق

نماذج من كشافات مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الملحق الأول : حرف الألف . المجلد الثاني

الاعتصام (كتاب البخاري)

٥ : ٢٥٩

الاعتصام بالله

٤ (ب) ٤٩

الاعتصام بحبل الله هو القران

٤ (ب) ٥٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعتصام بكتاب الله
وصايته « ص » الأمة بذلك ٤ (ج) ٩٥
الاعتقاد
٤ (ب) ٢٣٠
الاعتقادات (كتاب ابن بابويه القمي)
م م (د) ٣١
الاعتكاف
انظر أيضا
الصيام وما يليه من رؤوس فرعية
٢ (أ) ٢٦٧ ، ٢٦٨ (ك)
ح ٢ : ٥٧٥ ، ٥٩٧ (ب)
إكثاره « ص » منه في رمضان ٤ (ج) ٧٩
تركه « ص » له مرة في رمضان ٤ (ج) ٨٥
تشريعه في أفضل أيام الصوم ٤ (ج) ٨٤
تشريعه في العشر الأواخر من رمضان ٤ (ج) ٨٤
حكمه وآراء العلماء واختلافاتهم فيما فيه خلاف ٢ (أ) ٢٦٧

الخروج فيه ٤ (ج) ٨٦
ذكره سبحانه وتعالى له مع الصوم ٤ (ج .) ٨٤
عدم خروجه « ص » فيه إلا لحاجة ٤ (ج) ٨٦
عدم مباشرته « ص » أحدا من نسائه فيه ٤ (ج) ٨٦

قضاؤه « ص » له مرة في العشر الأوائل من شوال ٤ (ج) ٨٥
قيامه (ص) به مع الصوم ٤ (ج) ٨٤
مداومته « ص » عليه في العشر الأواخر من رمضان ٤ (ج) ٨٥
مقصوده ٤ (ج) ٨٤ ، ٨٦
هديه « ص » فيه ٤ (ج) ٨٤ - ٨٦ (ف)
واستحباب خروج المعتكف إلى العيد في ثياب اعتكافه ٢ (أ) ٢٠٠

الملحق الثاني : حرف الشين من المجلد الثالث

الشافعي ، محمد بن إدريس
١ : ١٨٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧
٢ (أ) ١١ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ - ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ - ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ - ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ - ١٣١ ، ١٣٣ - ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ - ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،

ح ١ : ٩١ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨
ح ٢ : ١٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢١٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣٣٦
ح ٣ : ٥ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ظ ، ٢٧٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣٨ ، ٤٠١
ح ٤ : ١٣٤ ، ١٦٦ ، ٢٥٦
ح ٥ : ٢٤٤
م م (أ) ٩٠ ، ١٤٥ ، ١٦٠
م م (د) ٣٦ ، ٣٧

أباح ما يصطاده الكلب الأسود البهيم
٢ (أ) ٧٣٨
أجاز تعليم القرآن بأجر
٢ [illegible] ٧٣
[illegible] المسلم حلا
٢ (أ) ٤٩٦
أجاز السَّلَم في اللبن
٢ (أ) ٤٩٥

هوامش

(١) المقال المذكور في دائرة معارف علم المكتبات والمعلومات . وقد يكون من الغريب في بحث عن «تكشيف كتب التراث» أن نستشهد بمقال في دائرة أجنبية . ولكن الحقيقة أن الغربيين ـ كما سنرى ـ كانوا أسبق إلى هذا العمل ، حتى فيما يتعلق بكتب التراث العربي الاسلامي .

(٢) لتحديد أبعاد التراث العربي الأسلامي ومعرفة أهميته بالتفصيل وكيف نخدمه ، انظر مقالنا : قضية التراث . مجلة الدارة (الرياض) ، س ٥ ، ع ١ ، ربيع الأول ١٣٩٩ هـ/مارس ١٩٧٩ م . ص ص ١٧٨ — ٢٠٦ .

(٣) لدراسة هذه الأمور ، وخاصة بالنسبة للباحث في الدراسات الاسلامية ، انظر مقالنا : البيليوجرافيا الموضوعية العربية ، علوم الدين الاسلامي . مجلة كلية اللغة العربية (الرياض) ع ٨ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ص.ص ٤٨٩ — ٥٦٤ . ومما يجدر ذكره أنه قد تم إعداد جزء من ببليوجرافية خاصة بالدين الاسلامي : و يتضمن العمل تحليلا لـ ٦٨ مجلة واشتمل على حوالي ٥٣,٠٠٠ مقالا سوظهر في ستة مجلدات وسابع للكشافات . ومن المنتظر أن يستكمل العمل قريبا إن شاء الله .

(٤) مفتاح كنوز السنة : المقدمة ، صفحة س — ع .

(٥) تعدد الفهارس في بعض الحالات حتى وصلت إلي ١٩ نوعا ، كما فعل الدكتور عبد الفتاح الحلو في كتاب نفحة الريحانة ، كذلك أعد فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة فهارس مفصلة لكتاب سيبويه ، ولكنها لم ترتب ترتيبا ألفبائيا : وأعد الأستاذ محمد قنديل البقلي فهارس في مجلد كامل لكتاب «صبح الأعشي في كتابة الانشاء» وهو من التآليف الموسوعية العربية . وكما ذكرت فليس هدفنا هو الحديث عن «كشافات» الكتب . كما أن الكشافات السابقة لا تدخل في الاطار الشامل الذي نقصده .

فهرس وصفي للمجموعة التاريخية من المخطوطات العلمية في مكتبة عارف حكمت

قدمها : عباس صالح طاشكندى

TASHKANDI, Abbas Saleh (1974)
A descriptive catalogue of the historical collection of the scientific manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat' in Medina, Saudi Arabia. Ph. D. University of Pittsburgh

عـــرض : جعفر إبراهيم التــــاى

قدم هذه الرسالة عباس صالح طاشكندى لجامعة بتسبيرج عام ١٩٧٤ م ونال بموجبها درجة الدكتوراه وكان موضوع الرسالة «فهرس وصفى للمجموعات التاريخية من المخطوطات العلمية المحفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة» .

ويرمي الباحث من وراء هذه الدراسة إلى هدفين رئيسين : الأول إستنباط فهرسة وصفية لمجموعة المخطوطات العلمية بمكتبة عارف حكمت وتحديد ورصد أهم المخطوطات في حقل الكيمياء ، الجبر ، الحساب ، الفلك ، النبات ، الهندسة ، الطب ، والعلوم العسكرية . الهدف الثانى تطوير عناصر الوصف الأساسية والمهمة للتعريف بالمخطوطات العربية وتقنين بعض النظم العمليه المبسطة لفهرسة المخطوطات .

قام الباحث بتمحيص وتحليل العديد من الفهارس واستخلص النظم الأربعة التالية على أنها الأكثر شيوعا واستعمالا :

(١) النظام الببليوجرافي
(٢) طريقة الوصف المفصل
(٣) نظام العناوين القصيرة أو المختصرة
(٤) نظام الوصف المبسط

وأخضع كل هذه النظم الوصفية للنقاش والتحليل واستمد منها عناصر عملية لوضع فهرس مبسط جاعلا نصب عينيه المخطوطات الموجودة بالسعودية ومشيرا إلى أن العدد الكبير من المخطوطات والتى لم تفهرس بعد لا يمكن ضبطها ببليوجرافيا مالم تتخذ مقاييس عملية تطبق ، ويمكن بواسطتها فقط التغلب على مشاكل فهرسة المخطوطات العربية .

أما في ضوء الوضع الحالي فقد وجد الباحث بأن تطبيق النظام الوصفي المفصل للفهرسة يواجه بصعوبة قد تصل إلى درجة الاستحالة في التنفيذ نظرا للتفاصيل الكثيرة التى تميز هذا النظام وعدم وجود مكتبة تستطيع الإسهام في تكاليفه . أما نظام العناوين المختصرة فعلى الرغم من

أنها برهنت على فعاليتها إلا أن تقلص العناصر الأساسية للوصف فيها تجعل الباحث لا يستطيع التفريق بين النسخ المختلفة للعمل الواحد .

وعليه فإن طاشكندي ، ومن أجل وضع طريقة مقننة للوصف مهمامها تحديد طرق للفهرسة الوصفية للمخطوطات مع الأخذ في الإعتبار احتياجات القراء ، قد استخلص عناصر وصفية مهمة لتحديد مواضيع المخطوطات وقام بتطبيقها على مجموعات مكتبة عارف حكمت . وقد اطلع على النظام عدد من المتخصصين حيث كانت النتيجة مشجعة خاصة على المخطوطات العربية .

مقدمة الرسالة

في المقدمة يعطى الباحث مسحا تاريخيا لتطور نمو مجموعة المخطوطات العربية مع التركيزعلى مخطوطات مكتبة عارف حكمت و يلخص لتاريخ جمع الكتاب في العالم الاسلامي و يشير إلى أنه كان نتيجة لثلاثة عوامل رئيسية .

أولا : انتشار القرآن الكريم مكتوبا وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : حركة الترجمة التى نشطت في الدولة الاسلامية والتى كان من نتيجتها ترجمة أمهات الأعمال الفلسفية والعلمية من البلاد المجاورة إلى اللغة العربية .

ثالثا : ظهور العديد من الإتجاهات في الفكر الاسلامي .

هذا بجانب العديد من العلوم التى استحدثها المسلمون مثل الجبر والحساب والكيمياء بجانب ما أدخلوه في علوم الفلك والطب والهندسة والنبات والحيوان والطبيعة والعلوم الإنسانية . وقد رصد الباحث أسماء بعض علماء المسلمين في هذه العلوم وما قدموه من مساهمات .

ونتيجة لهذه الحركة الثقافية التى انتشرت في العالم الاسلامي شاعت المادة المكتوبة ونشأة فكرة تجميعها في مخازن عرفت فيا بعد بالمكتبات سواء كانت خاصة أو عامة .

وتحدث أيضا عن الدور الذى كان يلعبه المسجد في حياة المسلمين ثقافيا وتعليميا بجانب رسالته الدينية مما نتج عنه حصول هذه المساجد على العديد من المجموعات في علوم القرآن ، ولم يتخلى المسجد عن دوره الرائد حتى القرن التاسع عندما أنشئت المدارس والجامعات في بغداد ثم القاهرة ودمشق وألحقت بها مكتبات تقوم بهذا الدور . و يشير الباحث إلى عدد من المكتبات الضخمة التى ازدهرت في تلك الفترة وإلى المجموعات النادرة التى تعرضت للتلف نتيجة للغزو الخارجي .

إن انتشار المكتبات العامة في بغداد وأخيرا في القاهرة قد ترك أثره على بقية المدن ونتج عنه انتشار العديد من المكتبات العامة على نطاق العالم الاسلامي . و يورد الباحث هنا أسماء بعض هذه المكتبات وأماكنها وتاريخ تأسيسها ومؤسسيها .

ولكن نتيجة لإنقسام العالم الإسلامي إلى دويلات وتعرضه للغزو العسكرى والحضارى من المغول والمسيحيين والعثمانيين تعرض الخضم الزاخر والغني من المجموعات العلمية للسرقة والنهب والتلف .

وعندما عرض الباحث للمكتبات في مكة والمدينة أشار إلى أن دورها في العصور الوسطى كان يختلف عن دور المكتبات في البلاد الاسلامية الأخرى . فالحرم المكي الشريف بمكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة قد انفردا بمواصلة مهامها كمركزين ثقافيين وتعليميين لهما دور مكثف في التعليم الديني . كما أن المكتبات هنا وحتى القرن التاسع عشر قد بنيت إما داخل المسجد أو حوله لتكون في متناول الطلبة الدارسين بالحرمين وكانت مجموعات هذه المكتبات قد نمت عبر الإهداء من العلماء والخلفاء والحجاج أو عن طريق الوقف .

ويصف الباحث بعد ذلك حركة تطور المكتبات بمكة المكرمة حيث وصلت أول مجموعة من الشيخ محمد بن فتوح المكناسي عام ٤٨٧ هـ ، ثم قام نور الدين بن صلاح الدين ملك اليمن ببناء مكتبة وقاعة للإطلاع عام ٥٥٤ هـ ، وأهدى مكتبته الخاصة ، وتوالت بعد ذلك المجموعات المهداة ، و يشجع على ذلك المكانة الدينية لهذا البلد المقدس في نفوس المسلمين . وقد رصد الباحث اسماء الشخصيات التى قامت بإهداء مجموعاتها للمكتبة منذ ذلك الحين وإلى إن استقرت في مكانها الحالي .

أما في المدينة المنورة فقد نشأت مكتبتين بركن الحرم المدني منذ القرن الخامس الهجري أغلب مجموعاتها تتعلق بالدين الإسلامي . وقد أهديت أول مجموعة لتكون نواة للمكتبة عام ٥٨٧ هـ ولكن أكلتها النيران عام ٨٨٦ هـ . أما المكتبة المحمودية فقد أنشأت فى عام ١٢٧٢ هـ فى ركن المسجد خلف باب الصديق بناها محمود شاه السلطان التركي وكانت أغلب محتوياتها من المخطوطات (٣٠٠٠ مخطوط) في البداية .

أما مكتبة عارف حكمت والتى جرت الدراسة على محتوياتها من المخطوطات فقد أوجدها عام ١٢٧٠ هـ بالقرب من الركن الشرقى للمسجد النبوي مفتى الاسلام الشيخ عارف حكمت الحسيني . بنيت في قسمين : الأول قاعة للمطالعة تحيطها أرفف مقفلة وتغطيها قبة ضخمة وقد روعي في تصميمها فن العمارة الإسلامي وزينت من الداخل برسومات من الخشب المنحوت . أما القسم الثانى فيتكون من طابقين الأول للمخازن والمكاتب والآخر لسكن أمين المكتبة . و يعود تاريخ بناء مجموعات المكتبة إلى القرن الثامن عشر حينما ورث الشيخ مجموعة كبيرة

من المخطوطات ازدادت عندما صار مفتيا للامبراطورية العثمانية . وبعد تقاعده استقر في المدينة المنورة وقام ببناء هذه المكتبة على نفقته الخاصة وظل يوالى تغذيتها وضمان دخل لها . وفي أيام الحرب العالمية الأولي أمر السلطان التركي حاكم المدينة المنورة بإرسال كل محتويات المكتبة إلى اسطانبول ولكن عند وصول شحنتها إلى دمشق كانت دفة الحرب قد تغيرت في غير صالح تركيا ومن ثم أعيدت المجموعة مرة أخرى إلي المدينة المنورة لتبقى .

لقد قام الباحث بمسح لمجموعة المخطوطات بمكتبة عارف حكمت وموضوعاتها فوجد أن طريقة وضعها على الأرفف يمثل الطريقة الكلاسيكية العربية في تقسيم العلوم التى تشمل : القرآن الكريم . علوم القرآن . التفسير . الحديث . مصطلح الحديث . الفقه . الفقه الحنفي . الفقه المالكي . الفقه الحنبلى . الفقه الشافعي . الموارث . اللغة . النحو . الصرف . البديع . الأدب . العروض و القوافى . المعاظرة . الدواوين والمقتطفات . الفلسفة . التصوف . المنطق . الحكمة . الأخلاق . تفسير الأحلام . التاريخ . الجغرافيا . الحساب . الجبر . الهندسة . الكيمياء . الفلك . النبات . الطب . الفلاحة . العلوم العسكرية . الطباعة الحجرية .

وقد ثبت للباحث بعد التحليل الكمي للمخطوطات بأن الأعمال المتصلة بالدين والحديث والتفسير والفقه تكون الغالبية لهذه المجموعات ، تليها اللغة والأدب . أما في مجال العلوم الفلسفية فتوجد مخطوطات تمثل أهم الإسهامات في هذا المجال وهنالك مؤلفات لغالبية الفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد .

أما في مجال العلوم فإن المكتبة تحتفظ بأمثلة لمخطوطات ممتازة في جميع الحقول العلمية التى برز فيها علماء المسلمين وارتكزت عليها الحضارات الغربية في مجالات الطب وعلوم الفلك والجبر والهندسة والرياضيات والنبات والزراعة والكيمياء والعلوم العسكرية ، وقد بلغ مجموع هذه المخطوطات في العلوم البحته والتطبيقية ٤٩١ مخطوطا منها ٢٣٩ باللغة العربية و ٤٩ بالفارسية و٢٠٣ بالتركية . ومن أبرز المخطوطات التى أشار إليها الباحث في مجال الكيمياء مخطوط ابن جماعه عن التركيبة الكيمائية للمعادن ، وقاموس سير علماء الأغريق الأل والمسلمين ، ومخطوط يحى البرمكى في التركيبة الكيمائية لعدد من المواد والتى كتبها في ذكرى صديقه جابر بن حيان بجانب مخطوطين من أعمال الرازى . أما في علم الجبر فيوجد بالمكتبة مخطوط الخوارزمي والياسميني ، وفي الحساب مخطوط من أعمال الخارجى وابن البناءوالنيسابوري . ومن بين مخطوطات الفلك يوجد كتاب في معرفة انحرافات السطوح القائمة وهو مجهول المؤلف ولكنه يعتبر من أوائل الكتب العربية فى هذا المجال ، وقد كتب قبل استعمال الترقيم والفواصل في اللغة العربية ، هذا بجانب تراجم في الرياضيات الفلكية كتبها ثابت بن قرة ورسوم هندسية للطوسي . أما في مجال الطب فتحتفظ المكتبة بأقدم مخطوط طبي «الإرشاد في الطب» مجهول المؤلف بجانب أعمال النصراني ومختصر القانون لابن سينا وخلافه .

من هنا يتضح أن مكتبة عارف حكمت تنفرد بمجموعة نادرة وغنية من المخطوطات لمؤلفين مرموقين كل في مجاله، كما أن هذه المجموعات لها سمات خارجية مثل مذكرات عن المالكين لها وأختامهم ومعالم ببليوجرافية متكاملة بجانب كونها أصلية وذات قيمة أدبية وتاريخية .

هذا وقد رصد الباحث في نهاية المقدمة ٥٧ مرجعا تمثل مصادر للبحث في باب المقدمة .

خطـــة الدراســـة

يستعرض الباحث أولا النظم الأربعة المتبعة في فهرسة المخطوطات والتى أشير إليها في البداية موضحا تطور كل منها ومحاسنها ، ثم الصعوبات التى تواجه المفهرس والقارىء على السواء . ثم يخلص إلى الفهرس الوصفي الذى وضعه لمخطوطات العلوم البحته والتطبيقية والذى يمتاز بالبساطة والإختصار وفي نفس الوقت يجمع كل الأمور الضرورية لوصف المخطوط واحتياجات القراء .

وقد حدد المخطوطات التى فهرسها بأنها :

١ ــ لا تشمل المخطوطات العربية في شكل وثائق سواء كانت لفافة أو مطوية أو على ورق مسطح ، ولكن فقط تشمل المخطوطات التى أتخذت شكل الكتاب أى المجلدة .

٢ ــ لم يشمل المخطوطات غير العربية .

٣ ــ المؤلف وعنوان المخطوط كتبت بحروف انجليزية حسب نظام مكتبة الكونجرس .

٤ ــ المداخل في أصل الفهرس مرتبة حسب قوانين جمعية المكتبات الأميريكية .

٥ ــ هذا العمل في مجمله ليس ببليوجرافيا تحليلية بقدرما هوفهرس وصفي لمجموعة مخطوطات علمية في مكتبة محددة وفي موضوعات محددة .

تعـــريف

اعتمد الباحث النقاط التالية للقيام بالفهرس الوصفي : ــ

١ ــ المخطوطات التى وردت في الفهرس يقصد بها في العربية تلك التى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتبت بخط اليد في شكل سفر قبل دخول الطباعة إلى المملكة العربية السعودية .

٢ ــ المخطوطات التقنية و يقصد بها تلك التى تتصل بالعلوم التطبيقية .

٣ ــ المخطوطات العلمية هى تلك التى تتصل بالعلوم الطبيعية .

٤ ــ نظام الفهرس المبسط كما طبق على المجموعة يشمل العناصر التالية : ــ الموضوع ــ التاريخ ــ العنوان ــ المؤلف ــ المحتوى الموضوعي ــ بداية النص ــ نهاية النص ــ الوصف و يشمل قطع النصف ، المادة،الحجم،الخطوط ، نوع الخط ، النسخ وتاريخ الخاتمة .

٥ ــ ملحوظات عن الصفاة المميزة للمخطوط كالرسوم والتلوين والتزيين والتجليد .

٦ ــ المرجع الذى أستعين به لتحقيق المخطوط أو مؤلفه .

وكسابقه فإن هذا الفصل أيضا ينتهى بعدد من المراجع كمصادر للبحث .

المنهــج

ربط المؤلف دراسته بإفتراضين في هذا البحث . الأول ينص على أن استمرار العمل على المخطوطات لا يمكن أن يتحقق بدون وضع ضوابط ببليوجرافية . وعليه فإن هدف الدراسة هو خلق مثل هذه الضوابط الببليوجرافية وتطبيقها على المخطوطات الموجودة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة لضمان استمرار البحث والعمل على هذه المجموعات التى لم يسبق فهرستها كما أن الفهرس الوصفي الذى أعده المؤلف في هذه الدراسة يخدم هذا الإفتراض .

الإفتراض الثاني هو استخدام طريقة مبسطة للوصف لفهرسة المخطوطات العربية تساهم في تلبية رغبات القارئ . وقد جمع المؤلف لإختبار هذا الإفتراض المعلومات والبيانات اللازمة مستعملا النظام التالى :

١ ــ نظم ببليوجرافية وصفية مستعملة في عدد من الفهارس الوصفية وقوائم مراجعة المخطوطات عربية وذلك بعد أن قام بعمل مسح شامل تحليلى وتصنيفى تحكمه عناصر ودرجات الفهرسة الوصفية .

٢ ــ استمد العناصر الببليوجرافية للنظام المبسط في الوصف من جدولة العناصر الببليوجرافية في الوصف لستين نوع من الفهارس مستخلصا فقط العناصر التى تعتبر أساسية لفهرسة المخطوطات العربية .

٣ ــ من أجل تلبية الرغبات الحقيقية لقراء المخطوطات العربية فقد أجرى المؤلف لقاءات مع عدد من أمناء المخطوطات العربية في عدد من المؤسسات المعتبرة .

٤ ــ لتحقيق المزيد من الإختبار للفهرس الوصفي الذى وضعه ، قام المؤلف بإجراء سلسلة لقاءات ومناقشات مع عدد من الرواد وقراء المخطوطات العربية في الولايات المتحدة ، بريطانيا ، تركيا ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الهند ، باكستان وايران .

٥ ــ ربط المؤلف بين عناصر نظام الوصف المبسط واحتياجات القراء لإختبار الإفتراض الثاني لهذا البحث .

بعد ذلك قام المؤلف بتحليل التكنيك المستعمل في كل من النظم الأربعة لفهرسة المخطوطات وهى التى ذكرت سابقا ، ناقدا كل منها موضحا الصعوبات التى تعترض استعمالها مع اعطاء أمثلة منشورة لكل من الأنظمة الأربعة . وقد اعتمد علي عدد من المراجع في هذا المضمار رصدها في نهاية الفصل .

كما أفرد حيزا كبيرا في هذا الفصل عرض فيه فهرس مكتبة عارف حكمت بطريقة مفصلة تعرضت لنظام الفهرس وترتيبه وما تتضمنه البطاقات من معلومات عن عنوان المخطوط ، مؤلفه ، بدايته ، نهايته ، حجمه وخطوطه إلخ .

الفهــرس

يقع الفهرس في الصفحات ٩١ ــ ٢٤٩ من الرسالة وكعينة لبطاقة المدخل للمخطوط وفهرسته نأخذ أول مخطوط لنعطى القارئ فكرة عن الطريقة التى اتبعها الباحث ولتوضيح ماورد سابقا .

العنوان : رسالة في صناعة النفط

المؤلف : ابن جماعه ، عزالدين محمد بن أبي بكر

المحتوى : رسالة في المركبات الكيمائية للمعادن .

البداية : الحمد لله الذى أيد دعائم الفكر//باحكام القواعد ، واتقان الموارد ، وفسح في يد الحكماء ، وأزاح عنهم مانعه//قواطع السوائل ، فاستخرجوا نقيص الالهام بعداد . .

النهاية : . . . ثم يبقى عرضها ثلثى وثلث ثم توضع سحابة//الدواء الجيد بقدر الحاجة في بحرها ثم يغسل بالأصبع من أولها إلى آخرها//ولا محكما و بالله التوفيق تم بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد وسلم .

الوصف : عدد الصفحات ٠٣ المادة : ورق . الحجم ١٦٫٥×١٢٫٥/١٤×٩٫٥ . السطور : متنوعة . الخط : معتاد . الناسخ : حمد بن عبد الرحيم التركماني . تاريخ الخاتمة : ٧٤٩ هـ/١٣٨٧ م .

ملحوظات : جزء من مجموعة (١٥ــ١٧) . (رقم طلب الكتاب فى المكتبة ١٥٧) .

المخطوطات

التعاون والتنسيق بين الجامعات السعودية في ميدان المخطوطات

محمد بن عبد الرحمن الربيع *

(١)

الحديث عن المخطوطات العربية حديث متشعب الأطراف متعدد العناصر وخوض في بحار متلاطمة الأمواج فالمخطوطات هي معدن الحضارة الاسلامية وموئل العقول ومستقر الأفكار .

وما خلفه لنا المسلمون السابقون من مخطوطات أمر يحار العقل أمام كثرته وتعدد فنونه ، فمع ما مر بالمسلمين من نكبات مدمرة أحرقت فيها الآلاف المؤلفة من الكتب إلا أن مابقى منها الآن وهو القليل يمثل ثروة علمية هائلة منتشرة فى أصقاع العالم الاسلامى فى المكتبات والمساجد والزوايا المنسية ولدى الأفراد ، بل إن مايوجد من هذا الكنز العظيم خارج العالم الاسلامى في أوربا وأمريكا وغيرهما يعد مفخرة للمسلمين الأوائل الذين شغفوا بالكتاب تأليفا واستنساخا .

وإذا كان مابقى الآن من المخطوطات يعد ثروة علمية هائلة ، فان كثيرا منه لم يفهرس ولا يمكن التعرف عليه ، وإن الباحث ليصاب بالحيرة حينما يقرأ فى الكتب العربية القديمة التى تعنى بذكر المؤلفات : كالفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ، وفهرست ابن خير الأشبيلى،وغيرها فيجدها تذكر أسماء كتب هامة في فن من الفنون،ثم لا يعثر على هذا الكتاب في فهارس المخطوطات مع كثرتها ، فهل هذا الكتاب من الكتب التى فقدت وعدا عليها الزمن أم أنه من الكتب التى لم تفهرس حتى الآن .

إن المؤلفات الحديثة التى تعنى بذكر معلومات عن المخطوطات وأماكن وجودها مع ما اشتملت عليه من ذكر لعدد هائل من الكتب كتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين الذى يعد مفخرة من مفاخر العقل الاسلامى المنتج في العصر الحديث . إن هذه المؤلفات مع مابذل فيها من جهد لا تشتمل على كل المخطوطات الموجودة الآن ، بل تشتمل على ماورد في فهارس المخطوطات أو ما استطاع المؤلف بجهده الشخصى أن

* دكتوراه في الأدب العربي من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ . أستاذ مساعد ونائب مدير مركز البحوث بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقف عليه و يصفه من مخطوطات .

ولذلك كان أول واجب علينا أن نحصر المخطوطات المتبقية ونصفها وصفا موضوعيا ليتمكن الباحثون من الاستفادة منها ، وسنتناول هذا الجانب بشئ من التفصيل فيا بعد .

٢

وقبل أن أسرد وأناقش نماذج مما يجب علينا في المملكة العربية السعودية عمله نحو المخطوطات العربية جمعا ووصفا وحماية وتحقيقا ونشرا أحب أن أشير إلى بعض الملاحظات العامة قبل الدخول في الموضوع .

أولا : لن أتحدث عن تاريخ الخطوط العربى ونشأته والمراحل التى مر بها فذلك موضوع يحتاج إلى بحوث خاصة ، كما لن أتحدث عن أهمية التراث فى العصر الحديث فذلك أمر غير قابل للنقاش ولا يحتاج إلى دليل فهو مستقر فى الأذهان السليمة المؤمنة بحضارتها الاسلامية العظيمة.

ثانيا : سوف أتوسع في المراد بأقسام المخطوطات في الجامعات السعودية ، فأنا لا أريد بقسم المخطوطات القسم الذى تحفظ فيه المخطوطات أو القسم الذى يعنى بجمع المخطوطات من عمادة المكتبات ، وإنما أريد الأقسام التى لها صلة وعلاقة بالمخطوطات جمعا كأقسام المخطوطات ، أو تحقيقا كمراكز البحوث وأقسام الدراسات العليا التى تتناول المخطوطات ضمن بحوث طلابها ، أو نشرا أو توزيعا ليكون الحديث شاملا .

ثالثا : ليس في تركيز الحديث عن دور الجامعات في حفظ ونشر المخطوطات تجاهل وتقليل لما تقوم به الجهات الأخرى من خدمة للتراث ولا انكار وجحد لجهود الأفراد أيضا .

رابعا : التنسيق والتعاون بين الجامعات السعودية في مجال المخطوطات خطوة أولى لتعاون وتنسيق بين الدول العربية والاسلامية في هذا المجال الهام منعا للازدواجية والتكرار ، وتكثيفا للعمل المثمر البناء .

٣

وقد عملت جامعة الدول العربية على تبنى العمل في مجال المخطوطات وتنظيمه ، فأنشأت عام ١٩٤٦ م معهد المخطوطات بالقاهرة وكان الهدف من انشائه كما نصت عليه لوائحه :

١ ـــ جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة .
٢ ـــ تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية الموجودة .
٣ ـــ وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء .
٤ ـــ نشر النصوص المخطوطة .
٥ ـــ تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات .
٦ ـــ اصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات مع الاشارة إلى ما هو معد للطبع .

وقد قام هذا المعهد بجمع عدد كبير من المخطوطات الأصلية والمصورة وأصدار مجموعة من الفهارس ، كما أصدر مجلة باسم مجلة معهد المخطوطات وهى مجلة علمية تعنى بالتراث العربى وصفاً وتحليلا وتحقيقا ونقدا .

كما استفاد كثير من الباحثين من مخطوطات المعهد في دراساتهم وتحقيقاتهم ، والحقيقة أن المعهد قد أدى خدمات لا تنكر للتراث العربى والقائمين عليه ، وإن كانت هناك أوجه نقص كثيرة في عمله ويمر المعهد الآن بأسوأ مرحلة في حياته .

٤

وقد تنبهت الدول الاسلامية أيضا الى أهمية المحافظة على التراث الاسلامى ـــ من مخطوطات وآثار ـــ فقرر مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى المنعقد في داكار بالسنغال (جمادى الأولى عام ١٣٩٨ هـ) انشاء لجنة دولية للمحافظة على التراث الاسلامى يكون من مهامها :

١ ـــ المحافظة على التراث الاسلامى .
٢ ـــ دراسة وسائل وضع حد لسرقة الآثار الاسلامية واعادة المسروق .
٣ ـــ اتخاذ التدابير لتصوير المخطوطات والآثار الاسلامية والحفاظ عليها .
٤ ـــ التعريف بالتراث الاسلامى ونشره .
٥ ـــ اعداد مشروع اتفاقية تبرم بين الدول الأعضاء لتحقيق هذه الأهداف .

وقد شكلت الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى بجدة لجنة من الخبراء لدراسة هذا الأمر واعداد الاتفاقية .

٥

في المملكة العربية السعودية مخطوطات كثيرة قيمة ، لكن هذه المخطوطات مبعثرة موزعة بين المكتبات العامة والخاصة ، وكثير منها غير مفهرس ولا يستطيع الباحث معرفته فضلا عن الحصول على صورة منه ، وهذه المخطوطات يجب العناية بها وحفظها وفهرستها وتسهيل الاطلاع عليها وتصويرها ، ولكن يجب ألا نقصر اهتمامنا على ما لدينا فهو كثير في حد ذاته ولكنه قليل جدا في خضم المخطوطات الهائل المبعثر في جميع أنحاء العالم ، وحتى تحتل بلادنا مكانها المرموق في عالم المعرفة وحتى تصبح قبلة للباحثين والمحققين أرى أنه من الواجب على جامعاتنا أن تضع خطة مشتركة لتصوير كل ما يمكن تصويره من مخطوطات عربية في جميع أنحاء العالم ، بل حبذا لو أمكن تصوير كل ماهو معروف من المخطوطات العربية والاسلامية فى العالم .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وهذه المهمة وإن كانت ستواجه عقبات ومشكلات كثيرة جدا إلا أن الجامعات السعودية تستطيع مجتمعة أن تتغلب على هذه العقبات والصعاب بخطة طويلة الأمد مدروسة منسقة .

وهذا التصوير الشامل سيتيح للباحثين وطلاب الدراسات العليا في المملكة فرصة عظيمة للحصول على المراجع المخطوطة دون عناء السفر وما يعترض تصوير المخطوطات من عقبات ، بل إن الباحثين من خارج المملكة سيتجهون إليها لما سيكون لديها من مخطوطات هائلة و بذلك تنشط الحركة الفكرية في المملكة العربية السعودية .

وسوف تتيح هذه المخطوطات الهائلة فرصة ممتازة للجامعات لاصدار سلاسل كثيرة ونافعة من كتب التراث ، وعند ذلك يحق لنا أن نقول بكل فخر واعتزاز أن هذا البلد ــ مهبط الوحى ومنبع العربية ــ قد قام بدوره وأدى واجبه بأمانة تجاه الحضارة الاسلامية الراسخة الجذور .

و بعد أن ننتهى من عملية الجمع والفهرسة تبدأ عملية الاختيار ، لأن كتب التراث ليست كلها أهلا للنشر ، بل منها ما لايقدم جديدا أو اضافة إلى العلم والمعرفة وذلك ما تقرره اللجان العلمية التى ستشرف على عملية الترشيح والاختيار للنشر .

ونتمنى أن يأتى اليوم الذى نشعر فيه أن كل مفيد من تراثنا قد حقق ونشر لأن تحقيق التراث ونشره مرحلة هامة يجب أن تنتهى لننتقل إلى مراحل أخرى في خدمة التراث من تحليل له تحليلا موضوعيا بعد الدراسة الشاملة التى استطعنا تهيئة وسائلها العلمية بنشر المخطوطات وبذلك ستكون أحكامنا التراثية واضحة المعالم راسخة الجذور .

٦

وعلى الجامعات السعودية أن تدعو إلى ندوة حول المخطوطات على أن تشكل الجامعات لجنة مشتركة لوضع الخطط التمهيدية لهذه الندوة ثم تتبنى احدى الجامعات هذه الندوة على أن يتكرر عقدها كل سنتين أو ثلاث و يدعى إلى هذه الندوة :

١ ــ المسؤولون عن المخطوطات والمكتبات في الجامعات السعودية .
٢ ــ المسؤولون عن المخطوطات في المملكة من خارج الجامعات .
٣ ــ رجال التحقيق والمعنيون بالتراث الاسلامى .
٤ ــ المسؤولون عن الدراسات العليا التى تتناول التحقيق في دراساتها .
٥ ــ خبراء المخطوطات في العالم العربى والاسلامى .
٦ ــ مراكز الدراسات العربية والاسلامية .

و يكون من مهام هذه الندوة :

١ ــ وضع خطة شاملة لحصر المخطوطات .
٢ ــ وضع خطة واضحة لفهرست المخطوطات فهرسة وصفية تحليلية .
٣ ــ أصول التحقيق العلمى للمخطوطات .
٤ ــ وسائل نشر التراث والتعريف به .
٥ ــ بحث الاتفاقيات المساعدة على تحقيق ذلك .

٧

وهناك نقص كبير في مجال التعريف بالمخطوطات عندنا إذا لا يوجد في المملكة مجلة متخصصة في المخطوطات تعنى بنشر الفهارس ووصف المخطوطات الهامة والتعريف بما تم تحقيقه منها ونقد ما ينشر في هذا الميدان الهام ، لذلك فانى أتطلع إلى اليوم الذى أرى فيه مثل هذه المجلة وقد أصدرتها احدى جامعاتنا الجليلة ولا بأس أن تكون هذه المجلة شاملة لأمور المكتبات المخطوطة والمطبوعة لتسد هذا الفراغ ولا أريد بهذا الكلام أن أنكر أن بعض مجلاتنا تولى المخطوطات عناية كمجلة مركز البحث العلمى بمكة ومجلات الكليات الجامعية ويجب أن نشيد هنا بما تقوم به مجلة العرب لصاحبها العلامة الشيخ حمد الجاسر من عمل عظيم في هذا المجال.

وقد قرأت حديثا أنه سيصدر قريبا مجلتان تعنيان بالكتب والمكتبات أولاهما باسم عالم الكتب والثانية باسم المجلة العربية للمكتبات والمعلومات فعسى أن تقوم تلك المجلات بدور جيد في هذا المجال الهام .

٨

كما يجب على أقسام المخطوطات الاشتراك في النشرات والدوريات العربية والعالمية التى تعنى بالمخطوطات ، وذلك لمعرفة كل جديد في عالم المخطوطات وليكون العاملون في هذه الأقسام على صلة وثيقة باخوانهم في التخصص ، كما أن ذلك يتيح للقسم تقديم خدمات أفضل للرواد من المعنيين بالمخطوطات ، فقسم الدوريات قسم هام في المكتبة ولابد أن يكون المسؤولون عنه على مستوى علمى جيد يمكنهم من ارشاد الباحثين وتقديم أفضل الخدمات لهم .

٩

والمخطوطات العربية كثيرة جدا ومنتشرة في جميع انحاء العالم و بعضها في مكتبات معروفة وكثير منها لا يزال مجهول في مكتبات خاصة و بعض المساجد والأماكن التى لم يتعرف عليها الباحثون عن التراث .

كما أن المكتبات المعروفة بعضها له فهارس ، وكثير منها لم يفهرس ، والمفهرس تنقص فهارسه الدقة في وصف المخطوط أو معرفة المؤلف أو الفن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو غير ذلك ، ولذلك فمن هاجب أقسام المخطوطات في جامعتنا في هذه المرحلة أن تعنى بجمع فهارس المخطوطات من جميع أنحاء العالم ، وإذا كان بعضها في حكم المخطوط فلابد من تصو يره ، المهم أن يكون لدينا نسخة كاملة من جميع ما صدر من فهارس المخطوطات العر بية سواء أكان مطبوعا في كتب مستقلة أم منشورا ضمن أبحاث المجلات العلمية والدور يات — وهذا جانب هام من الفهارس — أم مكتو با على الآلة أم بخط اليد لأن الفهارس هي الأداة الأول للباحث .

أما المخطوطات الموجودة في المملكة في المكتبات العامة أو الخاصة فيجب البدء في اعداد فهارس موضوعية متقنة ومفصلة لها ، وهذا أقل ما يجب علينا وهو أن نفهرس ماعندنا ثم نعرف العالم بهذه الفهارس عن طر يق النشر والتوز يع الشامل لها

أما اذا وصلنا إلى ما تمنيناه في الفقرة السابقة من تصو ير المخطوطات في أنحاء العالم فان أمامنا ميدان طو يل وشاق في عمل الفهارس لذلك العدد الهائل من المخطوطات ، ولابد لذلك من برنامج مفصل يشمل أسلوب العمل وخطته لنصل إلى درجة من الدقة يطمئن إليها الباحث المحقق فكم من الاخطاء في الفهارس الموجودة وهذا ما يجب تلافيه في الأعمال القادمة .

١٠

ولابد من الاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة وتكنولوجيا العصر في مجال المخطوطات ، فالوسائل الحديثة في الحفظ والتصو ير تقدم خدمات عظيمة في هذا المجال مثل :

١ — وسائل الحفظ الحديثة التى تضمن للمخطوط حياة أطول .

٢ — وسائل التصو ير الحديثة من مايكروفلم ومايكروفيش وأجهزة القراءة والتكبير وغيرها .

٣ — استخدام الحاسب الآلى (الكمبيوتر) في خدمة التراث ، وذلك بوضع برنامج لادخال الفهرسة الوصفية للمخطوطات ضمن معلومات الكمبيوتر ، وكذلك تحليل المعلومات الواردة في المخطوطات الخاضعة للبرمجة ، وكذلك جمع المعلومات المتعلقة بموضوع واحد في مخطوطات متعددة مما يتيح للباحث الحصول على معلومات سر يعة عن طر يق استشارة الكمبيوتر .

و بذلك تستفيد اقسام المخطوطات من التكنولوجيا الحديثة استفادة كاملة توفر الوقت على الباحث وتضمن له دقة متناهية في المعلومات التى يحصل عليها .

والمعروف أن أكثر جامعاتنا لديها حاسب آلى فلماذا لايستخدم في هذا المجال الهام لا أن يقصر استخدامه على الأمور المالية والحسابية فقط .

١١

وصيانة المخطوطات وحفظها وترميمها علم له أساليبه ونظمه ويجب أن نهتم به وأن يكون في كل مركز للمخطوطات قسم للصيانة والترميم والعلاج فان العناية بالمخطوطات وحمايتها من الآفات أمر هام ولا يصح التساهل في هذا الجانب ، ويمكن ادخال هذه المادة العلمية ضمن مناهج أقسام المكتبات في الجامعات السعودية .

كما أن هذا القسم يجب أن يقدم خدماته إلى المكتبات العامة والخاصة خارج الجامعة وأن يعاونها في حماية موجوداتها و يرشدها إلى الأساليب السليمة في ذلك وحبذا لو عقدت دورات تدر يبية للعاملين في أقسام المخطوطات على الصيانة والترميم والوسائل العلمية لحفظ المخطوطات.

١٢

وبعض الجهات المهتمة بالتراث في العالم العربى والاسلامى تتبنى مسابقات علمية فى مجال تحقيق التراث ونشره كمكتب تنسيق التعر يب بالرباط التابع للجامعة العربية وكالمجامع اللغو ية ، وحبذا لو تبنت جامعاتنا مسابقة لتحقيق نص تراثى ورصدت الأموال للفائز ين ، وقامت بعد ذلك بطباعة الكتاب المحقق على نفقتها ، ويمكن وضع تنظيم مفصل لهذه المسابقة يبين شروطها وأحكامها ، ومن الأفضل أن يحدد في كل عام موضوع من موضوعات التراث ليكون مجالا للتحقيق حتى تشمل الفائدة جوانب متعددة من تراثنا الخالد .

١٣

كما أن هناك مايسمى بنظام التعضيد أو مساعدة المؤلفين وهو أن تقوم جهة حكومية مثلا بمساعدة المؤلفين والمحققين على نشر ماتم تأليفه أو تحقيقه على أن تقوم تلك الجهات بدفع مساعدات مالية لهم وفق أنظمة مرعية مساعدة لهم في طباعة الكتاب .

وهنا أرى أنه لابد من تدخل الجهة الدافعة للمساعدة في سعر بيع الكتاب وأسلوب توز يعه لتكون الفائدة من المساعدة شاملة للمؤلف والمثقف الذى سيشترى الكتاب بسعر مناسب .

وقد قامت دارة الملك عبد العز يز مثلاً بمساعدة بعض المؤلفين على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبع كتبهم وحبذا لو شملت المساعدة أيضا الذين يقومون بتحقيق التراث الاسلامى الجيد ونشره .

١٤

و يلاحظ أيضا أن تكلفة طباعة الكتب في عصرنا قد ارتفعت وأسعار الكتب قد زادت ، و بعض كتب التراث مكونة من أجزاء مما يز يد فى ثمنها و يصرف الناس ذوى الامكانات الضعيفة عن شرائها ، لذا لابد من التفكير في وسائل تضمن انتشار الكتب عن طر يق خفض القيمة ومن ذلك :

١ ــ بيع الكتب بأسعار رمز ية ، وقد قامت الجامعات مشكورة بانشاء مراكز لبيع الكتب الجامعية للطلاب وحبذا لو توسع في ذلك بوسائل مختلفة ليعم النفع أكبر عدد ممكن من المثقفين .

٢ ــ دعم المؤلفين ومساعدتهم عند طباعة مؤلفاتهم وقد سبق الحديث عنه.

٣ ــ اصدار سلاسل من قبل المراكز العلمية والجامعات على أن تباع الكتب بأسعار مخفضة .

٤ ــ اصدار سلاسل شعبية على ورق عادى بسعر رخيص .

١٥

كما أن من واجب أقسام الدراسات العليا في جامعات المملكة توجيه طلابها إلى تحقيق المخطوطات التي تتعلق بأبحاثهم الجامعية ، وحبذا لو طلب من كل طالب في الدراسات العليا في الكليات الانسانية على الأقل أن يحقق مخطوطا ولوصغيراً كجزء من دراسته ليتمرن بأساليب العرب القدماء ، وليتعرف على تراث أمته الخالد ليتحول الاعجاب بهذا التراث إلى قناعة علمية راسخة ، وربما اتجه بعد ذلك إلى ميدان التحقيق الرحب الواسع ، ولست أر يد بهذا أن تكون جميع الرسائل في الدراسات العليا في التحقيق فقط ، بل أردت أن يكون من الأشياء المطلوبة على طلاب الدراسات العليا التمرن على التحقيق .

١٦

وقد كان للمسلمين تراث علمى هائل في الطب والهندسة والكيمياء والر ياضيات وغير ذلك من العلوم التطبيقية ، ويجب ايلاء هذا الجانب عناية خاصة من جامعاتنا لأن الملاحظ كثرة الاتجاه إلى تحقيق الكتب النظر ية وإن كانت بعض الدول والجامعات العربية قد شعرت بأهمية ذلك فأنشأت مراكز لتحقيق التراث العلمى العر بى كمهعد التراث العلمى العر بى بجامعة حلب الذى أنشئ عام ١٩٧٦ م ومن أهم أهدافه:

١ ــ الكشف عن التراث العلمى العر بى .

٢ ــ اعداد البحوث والدراسات في هذا المجال .

٣ ــ تدر يب الباحثين .

٤ ــ عقد المؤتمرات والندوات التى تعنى بتراث العرب العلمى .

٥ ــ تحقيق الكتب العلمية ونشرها .

٦ ــ اصدار الدور يات والنشرات التى تعرف بهذا التراث .

كما أنشأت جامعة بغداد في عام ١٩٧٦ م مركز احياء التراث العلمى العر بى للأغراض السابقة .

١٧

وفي تراثنا مخطوطات كبيرة مكونة من أجزاء متعددة كالموسوعات وكتب التراجم ، وهذه الكتب يصعب على الأفراد القيام بتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا ونشرها نشرا يضمن انتشارها والانتفاع بها .

لذلك يحسن أن تتبنى الجامعات السعودية ومراكز البحوث تحقيق هذه الكتب على أن تقوم في سبيل ذلك بما يلى :

١ ــ توفير النسخ الخطية المختلفة للكتاب من جميع أنحاء العالم .

٢ ــ توفير المراجع المتعلقة بالمخطوط للمقارنة والتخر يج والتوثيق .

٣ ــ توز يع المخطوط على مجموعة من الباحثين على أن يتم التنسيق بينهم.

٤ ــ توفير الباحثين المساعدين (النساخ ومحضري المعلومات) .

٥ ــ طباعة الكتب فور الانتهاء منه .

٦ ــ وضع الفهارس التحليلية الشاملة للكتاب .

٧ ــ توفير الأموال اللازمة للانفاق على التحقيق والطبع .

٨ ــ توز يعه على الجامعات والمراكز العلمية والمكتبات الشهيرة .

٩ ــ بيعه بسعر معقول .

١٨

ويحسن أيضا اصدار سلاسل مهذبة ومختصرة من كتب التراث الكبيرة ، وهذه الفكرة لها أنصار ومعارضون ، فالمعارضون يرون في هذا الاختصار والتهذيب صد للناس عن كتب التراث الأصلية وابعاد لهم عن أسلوب التأليف عند القدماء .

أما المؤ يدون لهذه الفكرة فلهم حججهم القو ية ومنها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ أن بعض كتب التراث ضخمة جدا مما يجعل القارئ الكسول لا يلتفت إليها .

٢ ــ أن بعض كتب التراث مليئة بالحشو والاستطراد والأسانيد والتهذيب يبعدها عن ذلك .

٣ ــ أن هذه المختصرات ليست للباحثين ولكنها للطلاب غير المتخصصين وخير للتراث أن يقرأ مجموعة كبيرة من الناس مختصرات له من أن يعرضوا عنه بشكل نهائي .

٤ ــ أن التهذيب والاختصار ليس بدعا في تراثنا ، فكم للقدماء من مختصرات للكتب الكبيرة ، بل إن بعضهم يؤلف الكتاب مرتين مرة بتوسع وتفصيل وأخرى باختصار وتركيز .

والحقيقة أن هذا التهذيب والاختصار من الأمور الصعبة لأن من واجب المهذب أن يحافظ قدر الاستطاعة على روح المؤلف وأسلوبه ومعلوماته ، وذلك أمر لم يستطعه كثير من المهذبين ، أما إذا قام بهذا العمل أناس من المختصين فله فائدة كبيرة .

ويجب أن يحث المهذب القارئ على الرجوع إلى النص الأصلي وأن يكون التهذيب دافعا ومشوقا للرجوع إلى الأصل .

كما أن من المفيد اصدار سلاسل باسم مختارات من كتب التراث بحيث يتم اختيار باب أو فصل أو عدة فصول من كتاب هام أو مجموعة كتب على أن يذكر الباب المختار بنصه كما كتبه المؤلف مع التعليق عليه في الهامش ووضع مقدمة له فيها ترجمة للمؤلف وعرض واضح لمحتويات الفصل المختار .

١٩

وعلى الجامعات أن ترعى المحققين السعوديين ممن ليسوا من منسوبيها فلا شك أن هناك علماء أجلاء قدموا للتراث الاسلامي خدمات عظيمة بل إن بعضهم مثل حمد الجاسر قد قدم للتراث من الخدمات مالم تصل إلى مستواه كثير من جامعاتنا ، ومثل هؤلاء الرجال يجب أن تسعى الجامعات إليهم لا أن تنتظر منهم الخطوة الأولى ، فالعلم يعنى له والعلماء يخطب ودهم و يتقرب إليهم ، فلماذا لا يقوم تعاون مثمر في هذا المجال بين الجامعات وبينهم عن طريق نشر مؤلفاتهم ومحققاتهم ، أو تقديم المعونات لهم في هذا المجال وشراء نسخ كثيرة من مطبوعاتهم ، بل ووضع خطط مستقبلية للتعاون معهم والاستفادة من علمهم وخبرتهم وتكليفهم بتحقيق بعض الكتب لحساب الجامعة ، وقبل ذلك تقديم التسهيلات اللازمة لهم في الحصول على صور المخطوطات مجانا سواء من المخطوطات الموجودة هنا أم عن طريق طلب مصوراتها لهم من الخارج مع تحمل الجامعة كافة النفقات .

٢٠

و يشكو المهتمون بالمخطوطات في العالم الاسلامى من الازدواجية في التحقيق وتضييع الجهد في تكرار التحقيق دون علم ، ولعل السبب في ذلك هو ضعف الروابط بين المحققين ، وعدم معرفة بعضهم بما يقوم به الآخرون من تحقيق مخطوطة معينة فنتج عن ذلك أن بعض الكتب نشرت محققة في مصر مثلا وفي العراق أو سوريا أو الكويت أو تونس في وقت واحد ، والأمثلة على ذلك كثيرة معروفة ، ونتج عن ذلك الاشتراك والتكرار للعمل ضياع الجهد والوقت في عمل مكرر ولو اتجه كل واحد إلى موضوع آخر لكان في ذلك الخير والفائدة ، فتراثنا ضخم جدا ومالم ينشر منه أكثر مما نشر فلماذا الازدواجية والتكرار ؟

ويمكن تلافي ذلك بأن تلزم الجامعات مثلا كل متعامل معها أو طالب فيها بكتابة بيان مفصل بعمله ثم تقوم الجامعة ــ أو الجهة المختصة الأخرى ــ بايداع صورة من هذا البيان لدى معهد المخطوطات مثلا أو أى جهة أخرى تتفق الدول العربية والاسلامية على أن هذا الأمر من شؤونها ، وتقوم هذه الجهة بتفريغ هذه المعلومات في بيانات ترسل إلى الدول المشتركة والهيئات العلمية على أن يلزم الباحث وطالب الدراسات العليا بالحصول على افادة من تلك الجهة بأن الكتاب لم يحقق مثلا ، وليس هناك باحث يقوم بتحقيقه ، وأعتقد أن في ذلك التنظيم حماية للجهود من الضياع ، وسوف يرحب به كل باحث سواء في الجامعات أم خارجها ، فليس الأمر مقصورا على المنتمين إلى الجامعات ، بل هو عام شامل لكل مهتم بهذا التراث الخالد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١

ولدينا في المملكة مجموعة كبيرة من المكتبات الخاصة المليئة بنوادر المخطوطات والتى بذل أصحابها من العلماء الشئ الكثير في سبيل تكوينها وامدادها بالنفائس وهذه المكتبات الخاصة منتشرة في جميع أرجاء المملكة ، ويجب على الجامعات العناية بها وتقديم الخدمات إليها بل والحاقها بمكتبات الجامعة ما أمكن ذلك لأن في ذلك حماية لها .

يقول حمد الجاسر عن المكتبات الخاصة في بلادنا « وفي بلادنا مكتبات خاصة انتقل جامعوها إلى رحمة الله تسربت إليها مخطوطات البلاد بمختلف الطرق حتى أصبحت تضم أنفسها وأكثرها ولكن تلك المكتبات ــ بموت أصحابها ــ أصبحت نسيا منسيا يعبث بها البلى وتعبث فيها يد الاهمال وقد نفقد بفقد محتوياتها ثروة أية ثروة »(١)

ومن المكتبات الخاصة على سبيل المثال في نجد : مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (وقد ضمت إلى جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية) ومكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف ومكتبة الشيخ عبد الله ابن عبد العزيز العنقرى ومكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان، وفي الحجاز مكتبة الشيخ محمد نصيف ومكتبة الشيخ محمد سرور الصبان ومكتبة الشيخ محمد ماجد الكردى ، وفي الجنوب مكتبة الشيخ محمد أحمد العقيلي ومكتبة آل الحفظى ومكتبة آل الحكمى ، وغير ذلك كثير جدا مما يجب حصره ومعرفة محتوياته لأن المخطوطات ثروة وطنية يجب المحافظة عليها وإلا لتسربت إلى خارج البلاد بل إلى خارج العالم الاسلامى ، فالمكتبات الشهيرة في أوربا إنما حصلت على مخطوطاتها الكثيرة نتيجة لجهل المسلمين في عصور الانحطاط بقيمة المخطوطات فكان كثير من أبنائهم يبيعونها لوكلاء المكتبات الأوربية ، أو كانت الدول المستعمرة تستولى على مكتبات المساجد والأوقاف . فالمخطوطات العربية الموجودة في أوربا لم تكتب في أوربا وإنما كتبت في الشرق العربى ، وذلك واضح من اسماء النساخ والتملكات الموجودة عليها ومع ذلك تكونت هذه المكتبات الضخمة ففهرس المخطوطات العربية في برلين الذى صنعه الوارد يتكون من عشرة مجلدات كبيرة ، وكذلك المخطوطات العربية في المكتبة الأهلية في باريس والمكتبة البريطانية بلندن وغيره .

ومن نماذج تسرب مخطوطاتنا إلى أوربا ماذكره حمد الجاسر عن أمين ابن حسن الحلوانى المدنى المتوفى في بومبى بالهند عام ١٣١٦ هـ فقد كان عالما مهتما بالمخطوطات ، وله صلات قوية بالعلماء في مصر والهند وأوربا « وقد رحل الى أوربا لبيع الكتب ووصل إلى امستردام عام ١٨٨٣ م وليدن حيث باع مكتبة بريل في ليدن مجموعة من المخطوطات القيمة وقد ألف المستشرق لندبرج السويدى فهرسا للمخطوطات التى باعها الحلوانى على مكتبة بريل وطبع هذا الفهرس في ليدن عام ١٨٨٣ م فى ١٣٨ ص»(٢)

والعناية بالمكتبات الخاصة لها عدة طرق :

١ ــ فهرسة هذه المكتبات فهرسة تحليلية دقيقة وعمل قوائم كاملة بجميع محتوياتها .

وقد خطا مركز البحث العلمى بمكة المكرمة خطوة موفقة حينما انتدب أحد الباحثين فيه إلى القصيم وحائل ، وقد قام هذا المندوب بزيارة مجموعة من المكتبات الخاصة وكتب وصفا لمحتوياتها وتم نشر جزء منه (عن القصيم) في العدد الثانى من مجلة المركز ، وهذا عمل يشكر عليه المركز ، وإن كان وصف المخطوطات فيما نشر مختصرا جدا .

والواجب أن يتم حصر شامل للمكتبات الخاصة في المملكة واعداد وصف دقيق لكل محتوياتها ويجب على الجامعات أن تنسق فيما بينها في هذا الميدان على أن تختص كل جامعة بمنطقة من مناطق المملكة مثلا .

٢ ــ تصوير هذه المخطوطات كاملة ضمانا لبقائها ثم ايداع نسخة منها في كل قسم من أقسام المخطوطات في المملكة ، وبذلك نضمن انتشارها واستفادة الباحثين منها ، وبقاء صور جيدة لها فيما لو تعرضت الأصول ــ لا سمح الله ــ للتلف .

٣ ــ طبع فهارس لها توزع على الجهات المهتمة بالتراث في العالم الاسلامى ومراكز الدراسات العربية والاسلامية في جميع أنحاء العالم .

٤ ــ إن أمكن اقناع أصحاب المكتبات الخاصة أو ورثتهم بنقلها وضمها إلى مراكز المخطوطات في الجامعات إما بطريق الشراء أو الاهداء فذلك أفضل ضمانا لسلامتها لأن لدى مراكز المخطوطات وسائل علمية لحماية المخطوطات من التلف ، ويحسن أن يفرد للمكتبات الخاصة جناح خاص و يوضع على كل مخطوطة ما يشير إلى صاحبها اعترافا له بالفضل .

٢٢

كما أن هناك مخطوطات هامة لدى بعض الأفراد وربما يكون بعضهم ممن لا يعرف للمخطوط قيمته وأهميته ، لذا يحسن شراء المخطوطات منهم وحبذا لو قامت وسائل الاعلام (إذاعة ــ صحافة ــ تلفزيون) بحملة وطنية لحث المواطنين على ايداع مالديهم من مخطوطات لدى أقسام المخطوطات الرسمية وبيان أن ذلك أسلم وأضمن لبقائها والانتفاع بها وتبسيط ذلك لهم مع اهتمام أقسام المخطوطات بذلك واتصالها بالأشخاص واغرائهم بالقيمة المناسبة وكتابة أسمائهم على المخطوطات .

ولو تم ذلك لحصلنا على مخطوطات مجهولة وبذلك ضمنا الاستفادة منها وحمايتها من الضياع .

٢٣

ويجب على أقسام المخطوطات أن تقدم تسهيلات ملموسة للباحثين وطلاب الدراسات العليا مثل :

١ ــ توفير أجهزة القراءة والأماكن المريحة لهم .

٢ ــ أن يكون في المكتبة خبير أو خبراء مخطوطات ، يقدمون خدماتهم وخبراتهم للباحث ، وقد يساعدونه في معرفة النسخ أو قراءة الغامض منها ونحو ذلك من الخدمات العلمية والاستشارات .

٣ ــ التصوير السريع لما يطلبه الباحث .

٤ ــ تخفيض تكلفة التصوير أو اعفاء الباحثين منها .

٥ ــ طلب المخطوطات التى لا توجد في القسم ، وذلك عندما يقدم الباحث بيانا مفصلا عنها لأن الجهة الرسمية أقدر على الطلب من الأفراد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولأن بعض المسؤولين عن المخطوطات مع الأسف لا يتجاوبون مع الباحثين بل يضعون في طريقهم العقبات عن جهل وذلك أمر يحس به الباحث ويأسف له ، فان الحصول على صورة المخطوط في أوربا أو امريكا ربما يكون أسهل بكثير من الحصول عليه من بعض المكتبات في الداخل وقد أورد حمد الجاسر مثالا على ذلك فقال:« لقد احتجت إلى نسخة من كتاب لا يزال مخطوطا في مكتبة الحرم المكى الشريف نسخة جيدة كاملة منه وتوجد نسخة أخرى في فينا بالنمسا فكانت هذه النسخة الأخيرة الناقصة أقرب إلى ، وطريقة الانتفاع بها أيسر من طريقة الانتفاع من نسخة الحرم » (٣)

وقد احتجت إلى صورة لمخطوط في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، فحصلت على صور لنسخ أخرى من المخطوط من لندن وباريس وبرلين والفاتيكان قبل أن يصلنى الرد من المدينة المنورة برفض الطلب .

٢٤

إن التعاون بين الجامعات في مجال المخطوطات يجب أن تتم دراسته ووضع الخطط المفصلة له بين المسؤولين عنها في الجامعات ، ولذلك لابد من عقد لقاءات دورية بين عمداء المكتبات ورؤساء أقسام المخطوطات في الجامعات السعودية .

ومن أهم مجالات التعاون :

١ ـ التنسيق في مجال تصوير المخطوطات من خارج المملكة فلو أن كل جامعة التزمت بتقديم نسخة من صور المخطوطات التى تحصل عليها للجامعات الأخرى لكان في ذلك اثراء لمكتبات الجامعات وتوفير للوقت والازدواجية بل والمنافسة في هذا المجال .

٢ ـ التنسيق والتعاون في مجال تصوير المخطوطات في الداخل .

٣ ـ تبادل المعلومات والفهارس .

٤ ـ أن تزود كل جامعة الجامعة الأخرى بفهرس مفصل لكل المخطوطات الموجودة لديها مع اعطائها فرصة لقبول طلبات التصوير نيابة عنها للباحثين وطلبة الدراسات العليا .

٥ ـ التنسيق في مجال المخطوطات حتى لا يتكرر التحقيق ويضيع الجهد.

٦ ـ عقد دورات وندوات مشتركة حول المخطوطات .

٧ ـ التعاون في مجالات العلاقات الخارجية مع أقسام المخطوطات في الخارج وفي الندوات والمؤتمرات الخارجية .

وبعد : فهذه خواطر وأفكار أردت أن أطرحها لعل فيها ما يفيد أو يثير نقاشا هادفا بناءاً ، وأنا على ثقة من أننا سنخرج من هذا النقاش بفوائد سيعود نفعها على التراث والمهتمين به .

الهوامش

(١) العرب ١/٩٧ .
(٢) العرب ١/٣٠١ .
(٣) العرب ١/٩٧ .

أخي المؤلف

أخي الناشر

أخي الموزع

أخي صاحب المطبعة

أخي صاحب المكتبة التجارية

لايصال ما لديك من مؤلفات إلى القاريء الفرد ، والمكتبات بأنواعها ، والمؤسسات في الداخل والخارج على نطاق المملكة العربية السعودية والعالم العربي . . .

تدعوك (عالم الكتب) الناطقة باسمك إلى الاعلان عن نشاطك على صفحاتها .

فبادر بالاعلان . . . وأتصل بالعنوان التالي :

عـالم الكتب

الرياض ص.ب ١٥٩٠

هاتف : ٦٣٠٢٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و يبدو أنه غير تام .

آخـــره :

«الثـالـث عشـر من فقد دراهم بيته واتهم بها زوجته .. إلى قوله : ففي حنشه قولان صاحب المتن (الرسالة) : أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيـرواني (ت ــ ٣٨٩ هـ) وصاحب الشرح : أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى محمد عبد الله القلشاني التونسي المالكي راجع : الضوء اللامع ١٣٧/٢ ــ ١٣٨ والتنبكتي ٧٨ ومعجم كحالة ١٢٣/١ .

٣٦ ــ «شفاء الغليل فى حل مقفل خليل»

الرقم ١٧/خ

٩٩ ورقـــة

المقاس : ٢٤٫٥×١٣٫٥...(٣٦ سطرا) نسخة حسنة جيدة عليها آثار رطوبة لم تضر بخط مغربى حديث عليها هوامش .

تاريخ النسخ : ١١٧٩ هـ .

موضوعه : فقـــه مالكى .

أولـــه :

«الحمد لله الذى من علينا بنعمة الاسلام وجعلنا من أمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام»

وآخـــره :

«كمل والحمد لله شفاء الغليل فى حل مقفل الشيخ خليل فمن أضافه لشرح بهرام الصغير سهل عليه ــ بحول الله ــ كل عسير ... الخ»

فرغ منه مؤلفـــه في ٩٠٥ هـ .

والمؤلف : محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن على بن غازى العثمانى المكناسى (٨٤١ ــ ٩١٩ هـ) .

راجع معجم كحالة ١٦/٩ .

منه نسختان خطيتان بالخزانة العامة بالرباط كما في فهرستها ج ١ م ٣ ص ١٤٨ ــ ١٤٩.

مختصر تحفة المحبين والأصحاب للأنصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأليف : محمد محجوب العمرى الحجار

تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ألفه عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف بن عبد الكريم الأنصاري (١١٩٧ هـ ــ ١٧٨٣ م) ، وهو في أنساب أسر المدينة المنورة التى كانت على أيام المؤلف ، وقد طبع الكتاب في تونس عام ١٩٧٠ ميلادية بتحقيق محمد العروسى المطوى ، ونشرته المكتبة العتيقة،وجاء في ٥٧٤ صفحة. والكتاب يعتبر من أهم المصادر في أنساب أسر المدينة المنورة المتأخرة .

وقد قام محمد محجوب بن أبي بكر العمرى الحجار باختصار الكتاب إضافة إلى ذكر من بقى من تلك الأسر التى ذكرها الأنصارى و بيان من أنقرض منها حتى عهده .

و يقع المخطوط في (١٨) ورقة وهو مكتوب بخط معتاد حسن مقروء ، ومتوسط الأسطر ٢٥ سطرا في الصفحة الواحدة ، وهو من مقتنيات مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت تحت رقم ٤٧ تاريخ .

ومما لاشك فيه أن لهذا المخطوط أهمية كبرى في التعريف بأسر المدينة المنورة وأنسابها وأصولها وقد جاء اختصاره مفيداً إذ خلصه العمري من المعلومات المطولة التي ذكرها الأنصاري إضافة إلى ذكر بعض

المعلومات المستجدة على تاريخ تلك الأسر والبيوتات .

وأول هذا المخطوط

.. أما بعد فأقول وأنا الفقير إلى عفو الله الكريم الغفار محمد محجوب ابن المرحوم أبي بكر العمري الحجار أني لما أطلعت على القرمية المسماة بتحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب تأليف المرحوم الفاضل العلامة الشيخ الأجل المفتقر إلى ربه الكريم الباري عبد الرحمن بن عتد الكريم الأنصاري في عام أربعة وثمانين ومائتين وألف ، وهي التي ألفها المذكور في خال حياته وذكر ولادته في المدينة في شهر رجب عام ألف ومائة وأربعة وعشرين وذكر نسبه فقال عبد الرحمن ... فأردت اختصاره وتبين ما بقى منه في المدينة ممن ذكر اسمائهم في ذلك الكتاب وبيان من انقرض من ذلك إلى حد هذا التاريخ لئلا يدعون المتأخرين أنهم ممن ذكرهم ... »

وآخر المخطوط :

بيت الينبعي نسبة إلى ينبع البحر انقرضوا وليس منهم أحد وهذا ما وجدته محررا في كتاب المؤلف الأنصاري رحمه الله أمين .

وقد تم نسخها على يد إبراهيم بن أحمد حمدى في مكتبة عارف حكمت وفرغ منها في شهر جمادي الآخرة سنة ١٣١٣ هجرية .

أنموذج من المخطوط :

حرف الباء : بيت البرزنجي نسبة إلى برزنجه بلدة بالكرد أول من ورد منهم السيد محمد بن رسول البرزنجي فى عام ألف وثمانية وستين وأدركت منهم السيد إبراهيم وولده السيد عمر والسيد اسماعيل وأولاده السيد جعفر والسيد أحمد والسيد عبد الكريم . بيت البرى : اصلهم القاضي أحمد المغربى المالكي القيرواني نسبة إلى قرية من أعمال تونس

الخضرة قدم المدينة في حدود تسعمائة . بيت البساطي نسبة الي بساط قرية مشهورة بالديار المصرية أول من ورد منهم الشيخ عبد الباسط العطار بباب السلام في حدود عام ألف .

... بيت ابيض انقرضوا جميعا وما بقى منهم أحد ... بيت البكرى نسبة إلى سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه انقرضوا جميعاً ومابقى منهم أحد . بيت البصرى : انقرضوا جميعا وما بقى منهم أحد .. بيت البخارى : انقرضوا جميعا وما بقى منهم أحد .. بيت الباشا الحساوى الذى انشأ حوش الباشا : انقرضوا جميعا .

ومما لاشك فيه أن الكتاب يعتبر وثيقة تاريخية هامة وهوجدير بالتحقيق والنشر لتعم الفائدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختصار القول في الوقف على «كلا» و«بلى» و«نعم» في كتاب الله

تأليف : أبى محمد مكي بن أبي طالب القيسي

تحقيق : أحمد حسن فرحات *

مقدمـــــة المحقق

الحمـد لله نحمده ، ونستعين ونستهديه ونستغفره ، ونصلي ونسلم على خير خلقه سيدنا محمد الذي أدى الرسالة و بلّغ الأمانة ونصح الأمة .

و بعد :

فلقد سبق لي أن عنيت بدراسة الامام «مكي بن أبي طالب القيسي» المولود في القيروان عام ٣٥٥ هـ والمتوفى في قرطبة عام ٤٣٧ . وقد وجهت معظم جهدي لدراسة آثاره في تفسير القرآن الكريم وعلومه وكتبت في ذلك رسالتي التي قدمت للطباعة حديثا وهي بعنوان «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن الكريم» والتي أرجو أن تكون بين أيدي القراء في أقرب فرصة .

كذلك فقد قمت بتحقيق بعض ما كتبه في علوم القرآن مثل كتاب «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة» ــ وقد نشرته دار الكتب العربية بدمشق ــ وكتاب «الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ــ الذي طبعته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ــ وكتاب «شرح كلاّ و بلى ، ونعم ، والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل» ــ الذي نشرته دار المأمون للتراث بدمشق ــ .

ومازلت أواصل البحث عن بقية آثاره ، و بخاصة ماكان منها في عداد المفقود ، وقد وجدت بعض ماكان يعتبر مفقودا إلى عهد قريب ، وسأقدمه للطباعة في أقرب فرصة . وأما تفسيره فقد نشطت للعمل به بعد أن وجدت الجزء المفقود منه ، وسيتوالى نشره ضمن أجزاء ــ إن شاء الله ــ .

وهذه الرسالة التي أقدمها للقراء اليوم هي اختصار لكتابه «شرح كلاّ و بلى ونعم» الذي سبق نشره . وقد يسأل سائل : لماذا الاختصار و بخاصة أن الكتاب الأول ليس كبيرا ؟ والجواب عن ذلك أن مكيا كان متفننا بالتأليف ، فبعد أن ألّف كتابه الأول «شرح كلا و بلى ونعم» واستوفى فيه الأقوال والحجج والعلل ، وأشبع بذلك رغبة الدارسين وطالبي العلم ، رأى أن الحاجة ماسة إلى اختصار ذلك لحاجة القراء إليه،

* عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذين يهمهم أن يعرفوا الأقوال النهائية الراجحة ولايهمهم أن يعرفوا التفصيلات ، فكتب لهم هذه الرسالة مبوبة تبو يبا جديدا ومرتبة ترتيبا يخالف ترتيب الكتاب الأول ، و يتناسب مع حاجة القراء ، وهذا يظهر جليا من المقارنة بين الكتابين .

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة عن نسختين خطيتين :

ــ إحداهما موجودة في جامعة الرياض ضمن مجموع ، ولم يذكر فيه نسبتها إلى المؤلف وإنما هي مجهولة النسبة .

ــ والثانية في دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع أيضا ، وهي منسوبة إلى المؤلف . وكنت قد اطلعت في السابق على فهارس دار الكتب الوطنية بالقاهرة فوجدت جزءا من هذه الرسالة ولعله الخاص بـ «كلا» دون غيرها .

والذي دفعني إلى تحقيق هذه الرسالة ونشرها أنها تحقق فائدة لا تحققها الرسالة الأولى ، وهو ماحدا بالمؤلف إلى جعلها رسالة مستقلة ، ليجد فيها قارئو القرآن بغيتهم بسهولة و يسر والتى قد لا يجدونها في الكتاب الأول إلا بصعوبة وتكلف .

وإنني لأرجو الله سبحانه أن يوفقنا لما يرضيه ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يأخذ بناصيتنا إلى الخير ، إنه على كل شئ قدير .

أحمد حسن فرحات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختصار القول في الوقف على «كلا» و«بلى» و«نعم» في كتاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي](١)

[بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقتي و به أستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل](٢) .

« كتاب اختصار القول في كلاّ و بلى ونعم في الوقف عليها في كتاب الله »(٣) .

اعلم ــ [علمك الله مافيه صلاح دينك و بَصَّرَك رشدك](٤) ــ أن «كلاّ» قد كثر اختلاف العلماء ــ من أهل اللغة والقراء ــ فيها وفي الوقف عليها ــ في كتاب الله عز وجل ــ وفي الابتداء بها .

[وقد عملت كتابين في «كلاّ» و «بلى» تقصيْت لك فيهما الاختلاف وعلمه ، وعللتها واجتهدت في ذلك بقدر ما علمني الله وفهمني]·(٥) . وأنا أذكر لك [في هذا الكتاب](٦) قولا مختصرا [من الكتاب الأول (٧) تعتقده وتقرأ به فهو الاختيار](٨) عندى وعند من قرأت عليه . فاعتمد عليه تصب الصواب بتوفيق الله سبحانه .

اعلم أن جميع مافي كتاب الله تعالى من «كلاًّ» ثلاثة وثلاثون موضعا في خمس عشرة سورة ، ليس فى النصف الأول من القرآن شئ منها ، وكلها في النصف الثاني ، ولم تقع إلاّ في سورة نزلت بمكة (٩) ولم تقع البتة في سورة نزلت بالمدينة . فاعرف هذا واحفظه .

واعلم أن «كلا» ــ [في كتاب الله ــ على أربعة أقسام]·(١٠) ، وأنا [أذكر لك كل]·(١١) قسم في باب مفرد لتحفظه .

القسم الأول

مايحسن الوقف فيه على «كلا» ــ على معنى الرَدّ لما قبلها والإنكار له ــ فتكون (١٢) بمعنى : ليس الأمر كذلك .

والوقف عليها ــ في هذه المواضع ــ هو الاختيار .

ويجوز أن يبتدأ بها على معنى «حقا» أوعلى معنى «ألا» .

وذلك أحد عشر موضعا :

فن ذلك موضعان في سورة مريم :

قوله تعالى : «أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلاَّ» (١٣)

و : «ليكونوا لهم عزًا . كلاّ» (١٤)

وموضع في «قد أفلح» :

قوله تعالى : «لَعَلّي أعمل صالحا فيما تركت كلا»(١٥)

وموضع في سورة سبأ :

قوله تعالى : «ألحقتم به شركاء كلاّ» (١٦)

و [موضعان في سأل سائل :

قوله تعالى](١٧): «ومن في الارض جميعا ثم ينجيه . كلاّ» (١٨)

وقوله تعالى : «أن يُدْخَل جنة نعيم . كلاّ» (١٩)

[وموضعان في المدثر :

قوله : «ثم يطمع أن أزيد . كلا»](٢٠)

وقوله تعالى : «أن يؤتى صحفا منشَّرة : كلا»(٢١)

وموضع فى المطففين :

قوله تعالى : «قال أساطير الأولين . كلا»(٢٢)

وموضع في الفجر :

قوله تعالى : «أهانن . كلاّ»(٢٣)

وموضع فى الهمزة :

قوله تعالى : «أن ماله أخلده . كلاّ»(٢٤)

فهذه أحد عشر موضعا :

الاختيار (٢٥) ــ عندنا وعند أكثر القراء وعند أكثر أهل اللغة ــ أن تقف(٢٦) عليها ، على معنى النفي والانكار لما تقدم قبلها من الكلام .

ويجوز(٢٧)أن يبتدأ بها :
ــ على معنى «حقاً» تجعلها(٢٨) تأكيدا للكلام الذى بعدها .
ــ أو على معنى «ألا»[تجعلها استفتاحا لكلام(٢٩)]·مبتدأ .
فافهم ذلك .

القسم الثاني

وهو مالايحسن الوقف فيه (٣٠)على «كلاّ» :
ــ ولا تكون (٣١) إلاّ مبتدأ بها على معنى «حقا» أو على معنى «ألا» .
ــ أو تصلها (٣٢) بما قبلها وبما بعدها ولا تقف (٣٣) عليها .
والابتداء بها [في هذه](٣٤) المواضع أحسن .
وذلك ثمانية(٣٥) عشر موضعا :
من ذلك ـ في المدثر ــ : موضعان :
قوله تعالى : «وما هي إلا ذكرى للبشر . كلاً والقمر»(٣٦)
وقوله تعالى : «بل لا يخافون الآخرة . كلاً إنه تذكرة»(٣٧)
وثلاثة مواضع في «لا أقسم بيوم القيامة» :
قوله تعالى : «أين المفر . كلا لاوزر»(٣٨)
وقوله تعالى : «ثم إن علينا بيانه . كلاً بل تحبون العاجلة»(٣٩)
وقوله (٤٠)تعالى : «أن يفعل بها فاقرة . كلاً إذا بلغت التراقي»(٤١)
وموضع في «عم يتساءلون» :
قوله تعالى : «الذي هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون»(٤٢).
وموضعان في «عبس» :
قوله تعالى : «فأنت عنه تلّهى . كلاّ إنها تذكرة»(٤٣)
وقوله تعالى : «ثم إذا شاء أنشره . كلاّ لما يقض ما أمره»(٤٤)
وموضع في «الانفطار»(٤٥).
قوله تعالى : «ماشاء ركّبك . كلاّ بل تكذبون»(٤٦)
وثلاثة مواضع في «و يل للمطففين» :
قوله تعالى : «لرب العالمين . كلاً إن كتاب الفجار»(٤٧)
وقوله تعالى : «ماكانوا يكسبون . كلا إنهم»(٤٨)
وقوله تعالى : «الذي كنتم به تكذبون . كلاّ»(٤٩)
وموضع في «الفجر» :
قوله تعالى : «حبا جما . كلاً إذا دكت»(٥٠)
وثلاثة مواضع في «اقرأ»:
قوله تعالى : «علم الانسان مالم يعلم . كلاً إن الانسان»(٥١)
وقوله تعالى : «ألم يعلم بأن الله يرى . كلاً لئن لم ينته»(٥٢)
وقوله تعالى : «سندع الزبانية . كلا لا تطعه»(٥٣)
وموضعان في «ألهاكم» .
قوله تعالى : «حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون»(٥٤)
وقوله تعالى : «كلا لو تعلمون»(٥٥)
فهذه ثمانية عشر موضعا :
الاختيار ــ عندنا وعند القراء وعند اكثر أهل اللغة ــ أن يبتدأ بها(٥٦) ــ أي : بكلا ــ على معنى «حقا» أو على معنى «ألا» وأن لا يوقف عليها(٥٧) .

القسم الثالث

هو ما لا يحسن الوقف فيه(٥٨) على «كلاّ» ولا يحسن الابتداء بها .
ولا تكون إلاّ موصولة بما قبلها [من الكلام](٥٩) وما بعدها .
وذلك موضعان في كتاب الله تعالى :
قوله تعالى في (٦٠) «عم يتساءلون» ــ : «ثم كلا سيعملون»(٦١)
وقوله تعالى ــ في «ألهاكم» ــ : «ثم كلا سوف تعلمون»(٦٢)
[ولا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها](٦٣)

القسم الرابع

هو مالا يحسن الابتداء فيه بـ «كلاّ» . ويحسن الوقف عليها .
وذلك موضعان في كتاب الله ــ جل ذكره ــ :
وهما في الشعراء :
قوله تعالى : «أن يقتلون . قال كلاّ»(٦٤)
وقوله : «إنا لمدركون . قال كلاّ»(٦٥)
لا يجوز الابتداء بـ «كلا» ــ فيهما ــ ويحسن الوقف عليها فيهما.
فذلك ثلاثة وثلاثون موضعا .
وهذا الذي ذكرت لك هو الاختيار .
ويجوز في جميعها أن تصلها بما بعدها وبما قبلها ، [ولا تقف عليها ولا تبتدئ بها](٦٦)
[فاعلم ذلك](٦٧).

فصل : وأما «بلى»

فقد ذكرتها مشروحة في كتاب «كلاّ» . وأنا أذكر لك [في هذا الكتاب](٦٨) ما يعتمد (٦٩)فيها مختصرا ــ إن شاء الله تعالى ــ .
اعلم أن «بلى» وقعت في كتاب الله ــ جل ذكره ــ في اثنين وعشرين موضعا في [ست عشرة](٧٠)سورة . وهي على ثلاثة أقسام :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القسم الأول

هو(٧١) مايختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها(٧٢)؛ لأنه جواب لما قبلها وغير متعلق مابعدها بها .

وذلك عشرة مواضع :

في سورة البقرة موضعان:

قوله تعالى : «مالا تعلمون . بلى من كسب سيئة»(٧٣).

وقوله تعالى : «إن كنتم صادقين . بلى من أسلم»(٧٤).

وفي آل عمران موضعان :

قوله تعالى : «وهم يعلمون . بلى من أوفى بعهده»(٧٥).

وقوله تعالى : «منزلين . بلى إن تصبروا»(٧٦).

وفي الأعراف موضع :

«ألست بربكم قالوا بلى شهدنا»(٧٧)

وفيه اختلاف ـــ [قدمته في الكتاب الأول](٧٨) . واختيار قالون : الوقف عليه .

وفي النحل موضع :

قوله : «من سوء بلى إن الله»(٧٩)

وفي «يس» موضع :

قوله تعالى: «أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق»(٨٠)

وفي «غافر» موضع :

قوله تعالى : «رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا»(٨١)

وفي «الأحقاف» موضع :

قوله تعالى : «على أن يحيي الموتى بلى إنه»(٨٢)

وفي الانشقاق موضع :

قوله تعالى : «أن لن يحور بلى إن»(٨٣)

فهذه العشرة المواضع يختار(٨٤)الوقف عليها ، لأنها جواب لما قبيلها وغير متعلقة بما بعدها . وهو اختيار جماعة من القراء . وقد أجاز(٨٥) بعض الناس(٨٦) الابتداء بها في هذه المواضع وليس بمختار (٨٧) .

القسم الثاني

هو مالا يجوز الوقف فيه على «بلى»(٨٨) لتعلّق ما بعدها بها وبما قبلها .

وذلك سبعة مواضع :

من ذلك موضع في الأنعام :

قوله تعالى : «أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا(٨٩)».

وموضع في النحل :

قوله تعالى : «لا يبعث الله من يموت بلى وعداً(٩٠)»

وفي سبأ موضع :

قوله تعالى : «قل بلى وربي لتأتينكم»(٩١).

وفي الزمر موضع :

قوله تعالى : «من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتى»(٩٢)

وفي الأحقاف موضع :

قوله تعالى : «أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا»(٩٣)

وفي التغابن موضع :

قوله تعالى : «قل بلى وربي لتبعثن»(٩٤)

وفي القيامة موضع :

قوله تعالى : «أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين»(٩٥)

فهذه السبعة المواضع لا يجوز الوقف عليها البته ـــ [ولم يختلف في ذلك](٩٦) ـــ . ولا يحسن الابتداء بها لأنها مع (٩٧)مابعدها جواب لما قبلها .

القسم الثالث

ما وقع فيه الاختلاف :

فمن الناس من يجيز(٩٨)الوقف على «بلى» فيها ، ومنهم من لا يجيزه(٩٩) والأحسن أن لا يوقف فيها على «بلى»؛ لأن مابعدها متصل بها وبما قبلها.وهي خمسة مواضع :

في البقرة موضع :

قوله تعالى : «قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»(١٠٠)

وفي الزمر موضع :

قوله تعالى : «قالوا بلى ولكن حقت»(١٠١) .

وفي الزخرف موضع :

قوله تعالى : «ونجواهم بلى ورسلنا لديهم»(١٠٢) .

وفي الحديد موضع :

قوله تعالى : «قالوا بلى ولكنكم»(١٠٣)

وفي «الملك»(١٠٤)موضع :

قوله تعالى : « بلى قد جاءنا نذير» (١٠٥)

[واختيار قالون .. الوقف على الذي في «الزمر» دون سائرها](١٠٦)

فهذه الخمسة قد اختلف فيها . والأحسن ترك الوقف على «بلى» فيها ، وأن تصلها بما [قبلها وبما بعدها . ولك في جميع ماذكرنا من «بلى» أن تصلها بما](١٠٧)بعدها وبما(١٠٨)قبلها ، ولا تقف (١٠٩)عليها ولا تبتدئ بها ، فهو أيضا مذهب حسن والاختيار : ماذكرت لك . فاعمل عليه موفقا إن شاء الله . [وقد بينت جميع هذه المواضع في غير هذا الكتاب](١١٠).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[فصل : وأما](١١١)«نعم»

[ففي كتاب الله منها](١١٢)أربعة مواضع :

في الأعراف موضع :

قوله تعالى : «قالوا نعم فأذن مؤذن»(١١٣)

الاختيار أن يوقف (١١٤)على «نعم» ــ في هذه السورة ــ لأن مابعدها ليس متعلقا(١١٥)بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس من قول أهل النار .

والثاني والثالث (١١٦) في الأعراف وفي الشعراء :

قوله تعالى : «قال نعم وإنكم»(١١٧).

و[الرابع](١١٨)في الصافات موضع :

قوله تعالى : «قل نعم وأنتم داخرون»(١١٩).

والاختيار : أن لا يوقف(١٢٠) على «نعم»(١٢١)لتعلق ما بعدها بما قبلها.

في هذه الثلاثة المواضع ،ولأنه (١٢٢) متصل بالقول مع «نعم»[فاعلمه.وقد تقدم في الكتاب الأول عامل «نعم» ومواقعها في الكلام والفرق بينها و بين «بلى» فاطلب ذلك تجده مشروحا إن شاء الله ــ جعل الله ذلك لوجهه خالصا ــ تم الكتاب والحمد لله](١٢٣).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

(١) ز يادة من «ت»

(٢) ز يادة من «ض»

(٣) في «ض» : باب اختصار القول في كلا و بلى ونعم

(٤) في «ض» : وفقك الله تعالى أيها العاظر في هذه المقدمة .

(٥) ز يادة من «ت» . ولايعرف لمكي إلا كتاب «شرح كلا و بلى ونعم» ــ الذي سبق أن حققناه ونشرناه ، غير أن صاحب كشف الظنون ذكر كتابا لمكي باسم «الهداية في كلا» و يبدو أنه خاص بها دون بلى ، ولعل في العبارة خطأ من الناسخ .

(٦) ز يادة من «ت»

(٧) وهو كتاب «شرح كلا و بلى ونعم والوقف على واحدة منهن في كتاب الله عز وجل» وقد طبع بتحقيقنا .

(٨) ز يادة من «ت»

(٩) انظر ماقيل في تعليل ذلك في كتاب «شرح كلاَّ و بلى ونعم» ــ للمؤلف ــ صفحة : ٢٣ ــ ٢٤ ، وتعليق ابن هشام على ذلك في المغني : ٢٠٦/١ ــ طبعة دار الفكر .

(١٠) في «ض» : على أربعة أقسام في كتاب الله تعالي .

(١١) في «ض» : اذكرها لك في كل .

(١٢) في «ض» : فيكون

(١٣) الآيتان : ٧٨ ــ ٧٩ من سورة مريم ، وسياقها : «أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ٧٧ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ٧٨ كلاً سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مداً .» ٧٩

(١٤) الآيتان : ٨١ ــ ٨٢ من سورة مريم وسياقها : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ٨١ كلاً سيكفرون بعبادتهم و يكونوا عليهم ضداً ٨٢ .»

(١٥) الآية : ١٠٠ من سورة المؤمنون ، وقد جاء قبلها : «حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ٩٩ لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلاً إنها كلمة هوقائلها من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » ١٠٠ .

(١٦) سياق الآية في سبأ : «قل يجمع بيننا ربنا بالحق وهو الفتاح العليم ٢٦ قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلاّ بل هو الله العز يز الحكيم ٢٧ .» .

(١٧) ساقط من «ض» :

(١٨) سياق الآية :« .. يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ١١ وصاحبته وأخيه ١٢ وفصيلته التي تؤ يه ١٣ ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ١٤ كلا إنها لظى ١٥ نزاعة للشوى. ...

(١٩) الآيتان : ٣٨ ــ ٣٩ «أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخل جنة نعيم ٣٨ كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ٣٩ » .

(٢٠) ساقط من «ض» وسياق الآية : «ومهدت له تمهيدا ١٤ ثم يطمع أن أز يد ١٥ كلاً إنه كان لآياتنا عنيدا ١٦»

(٢١) الآيتان : ٥٢ ــ ٥٣ ونصهما : « بل ير يد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا مُنشَّرة ٥٢ كلاَّ بل لا يخافون الآخرة ٥٣» .

(٢٢) الآيتان : ١٣ ــ ١٤ ونصهما : «إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين ١٣ كلاً بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ١٤»

(٢٣) الآيتان : ١٦ ــ ١٧ ونصهما : « وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ١٦ كلاً بل لا تكرمون اليتيم ١٧»

(٢٤) الآيتان : ٣ ــ ٤ ونصهما : « يحسب أن ماله أخلده ٣ كلاّ لينبذن في الحطمة ٤»

(٢٥) في «ض» : والاختيار .

(٢٦) في «ض» : يوقف

(٢٧) في «ض» : ولا يجوز . وهو خطأ.

(٢٨) في «ض» : يجعلها .

(٢٩) في «ض» : يجعلها استفتاح كلام .

(٣٠) في «ض» : عليه .

(٣١) في «ت» : يكون

(٣٢) «ت» : أوما

(٣٣) في «ض» : يوقف . وقد جاء في «ت» ز يادة جملة بعد «عليها» وهي : «ولا تبتدئ عليها» . وهو خطأ من الناسخ .

(٣٤) في «ض» : بهذه

(٣٥) في الأصول : ثماني . وهو خطأ من النساخ .

(٣٦) الآيتان : ٣١ ــ ٣٢ من سورة المدثر .

(٣٧) الآيتان :٥٣ ــ ٥٤ من المدثر ونصهما : «كلا بل لا يخافون الآخرة ٥٣ كلا إنه تذكرة ٥٤»

(٣٨) الآيتان : ١٠ ــ ١١ ونصهما : «يقول الانسان يومئذ أين المفر ١٠ كلا لا وزر ١١»

(٣٩) الآيتان : ١٩ ــ ٢٠ وقد جاء قبلها : «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ١٨» .

(٤٠) في «ت» : والثالث : قوله .

(٤١) الآيتان : ٢٥ ــ ٢٦ ونصهما مع الآية التي قبلها : «ووجوه يومئذ باسرة ٢٤ تظن أن يفعل بها فاقرة ٢٥ كلا إذا بلغت التراقي ٢٦»

(٤٢) الآيتان : ٣ ــ ٤ وقد جاء قبلها : «عم يتساءلون ١ عن النبأ العظيم ».

(٤٣) الآيتان:١٠ــ١١ من السورة وقد جاء قبلها:«وأما من جاءك يسعى ٨ وهو يخشى٩»

(٤٤) الآيتان : ٢٢ ــ ٢٣ من «عبس» .

(٤٥) في «ت» : «إذا السماء انفطرت»

(٤٦) الآيتان : ٨ ــ ٩ ونصهما : «في أي صورة ماشاء ركبك ٨ كلاً بل تكذبون بالدين» .

(٤٧) الآيتان : ٦ ــ ٧ ونصهما : «يوم يقوم الناس لرب العالمين ٦ كلاً إن كتاب الكفار لفي

سجين» .

(٤٨) الآيتان : ١٤ ـ ١٥ ونصها : «كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ١٤ كلا إنهم عند ربهم يومئذ لمحجوبون ١٥»

(٤٩) الآيتان : ١٧ ـ ١٨ ونصها : «ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ١٧ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ١٨»

(٥٠) الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ ونصها : «وتُحبُّون المال حُبا جَمّا ٢٠ كلاً إذا دُكّت الأرض دكّا دكّا ٢١»

(٥١) الآيتان : ٥ ـ ٦ ونصها : «علّم الانسان مالم يعلم ٥ كلاّ إن الانسان ليطغى ٦»

(٥٢) الآيتان : ١٤ ـ ١٥ ونصها : «ألم يعلم بأن الله يرى ١٤ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ١٥»

(٥٣) الآيتان : ١٨ ـ ١٩ ونصها : «سندع الزبانية ١٨ كلاً لا تطعه واسجد واقترب ١٩» .

(٥٤) الآيتان : ٢ ـ ٣ من التكاثر .

(٥٥) الآية : ٥ من التكاثر . ونصها : «كلاّ لو تعلمون علم اليقين»

(٥٦) في «ت» : فيها

(٥٧) في «ت» : بلغ

(٥٨) ساقطة من «ض»

(٥٩) ساقطة من «ض»

(٦٠) ساقطة من «ت»

(٦١) الآية : ٥ من السورة

(٦٢) الآية : ٤ من السورة

(٦٣) زيادة من «ت»

(٦٤) الآيتان : ١٤ ـ ١٥ ونصها : «ولهم عليَّ ذنب فأخاف أن يقتلون ١٤ قال كلاً فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ١٥»

(٦٥) الآيتان : ٦١ ـ ٦٢ ونصها : «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ٦١ قال كلاّ إن معي ربي سيهدين ٦٢»

(٦٦) في «ص» : ولا يوقف عليها ولا يبتدأ بها .

(٦٧) زيادة من «ت»

(٦٨) زيادة من «ت»

(٦٩) في «ض» : تمتمد عليه

(٧٠) في «ت» : ستة عشر

(٧١) زيادة من «ت»

(٧٢) «ض» : عليه .

(٧٣) الآيتان : «وقالوا لن تمسنا النار إلاّ أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون ٨٠ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ٨١»

(٧٤) الآيتان : «وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ١١١ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ١١٢»

(٧٥) الآيتان : «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون ٧٥ بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ٧٦»

(٧٦) الآيتان : «إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ١٢٤ بلى إن تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ١٢٥»

(٧٧) الآية : ١٧٢ «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .»

(٧٨) زيادة من «ت» . وفي الحاشية إشارة إلى نسخة أخرى : «قد بينته» بدلا من «قدمته» .

(٧٩) الآية : ٢٨ «الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون»

(٨٠) الآية : ٨١ «أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم»

(٨١) الآية : ٥٠ «قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال»

(٨٢) الآية ٣٣ «أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شئ قدير»

(٨٣) الآيتان : ١٤ ـ ١٥ «إنه ظنّ أن لن يحور ١٤ بلى إن ربه كان به بصيرا ١٥»

(٨٤) في «ض» : تختار

(٨٥) في «ت» : اختار .

(٨٦) زيادة من «ض»

(٨٧) أدرج في «ض» ـ هنا ـ أبيات في الوقف على «بلى» لقالون ، وقد حذفناها لأنها ليست للمؤلف .

(٨٨) في «ت» بلى فيها

(٨٩) الآية : ٣٠ «ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»

(٩٠) الآية : ٣٨ «وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

(٩١) الآية : ٣ «وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» .

(٩٢) الآيتان : ٥٨ ـ ٥٩ «أو تقول حين ترى العذاب لو أن كَرّة فأكون من المحسنين . بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين»

(٩٣) الآية : ٣٤ «و يوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»

(٩٤) الآية : ٧ «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير»

(٩٥) الآيتان : ٣ ـ ٤ «أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوّي بنانه»

(٩٦) في «ض» : بلا خلاف .

(٩٧) في «ض» : و

(٩٨) في «ض» : يجوز

(٩٩) في «ض» : يجوز .

(١٠٠) الآية : ٢٦٠ «وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ..»

(١٠١) الآية : ٧١ «وسيق الذين كفروا إلى جهنم حتى إذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين»

(١٠٢) الآية : ٨٠ «أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسُلُنا لديهم يكتبون» .

(١٠٣) الآية : ١٤ .

(١٠٤) في «ت» : تبارك

(١٠٥) الآية : ٩ «قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ...» .

(١٠٦) زيادة من «ض» .

(١٠٧) ساقط من «ض»

(١٠٨) في «ض» : وما .

(١٠٩) في «ض» : يوقف

(١١٠) زيادة من «ت» وقد جاء في «ض» كلام مدرج يبدأ بقوله : قال صاحب الانفرادة وقد حذفناه لأنه تعليق من الناسخ وليس من كلام المؤلف .

(١١١) في «ت» : وأما .

(١١٢) في «ض» : فهي في كتاب الله تعالى .

(١١٣) الآية : ٤٤ «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين» .

(١١٤) في «ت» : يقف .

(١١٥) في «ت» : بمتعلق .

(١١٦) ساقط من «ض»

(١١٧) آية الأعراف : ١١٤ «قال نعم وإنكم لمن المقربين» وآية الشعراء : ٤٢

(١١٨) زيادة من «ت»

(١١٩) الصافات : ١٨

(١٢٠) في «ت» : يقف

(١٢١) في «ت» جاءت عبارة «في هذه المواضع» بعد كلمة «نعم» وسقطت منها عبارة «في هذه الثلاثة المواضع» التي جاءت بعد ذلك .

(١٢٢) في «ض» : إنه

(١٢٣) هذه الخاتمة من «ت» .. وأما «ض» فقد جاء فيها : «والله أعلم وأحكم والموفق للصواب تم ذلك» .

مكتبات الحرس الوطنى

هذه فكرة موجزة وسريعة عن مكتبات الحرس الوطنى والدور الذى تلعبه ادارة العلاقات العامة في ارساء القواعد الثقافية والفكرية والمعرفة،فقسم المكتبات من الأقسام الثقافية والتربوية الهامة في رئاسة الحرس الوطنى وتشرف عليها ادارة العلاقات العامة باعتبارها أحد أقسامها .

المكتبة المركزية برئاسة الحرس الوطني أنشئت عام ١٣٩٥ هـ أما أول مكتبة افتتحها صاحب السمو الملكى النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى فهي مكتبة المدرسة العسكرية عام ١٣٩٣هـ

ومن الاهداف الطموحه لهذا القسم تنمية عادة المطالعة والترغيب فيها لدى منسوبى الحرس الوطنى ، الامر الذى يرفع مستوى الفرد ثقافيا وعلميا واداريا ، ثم تعميم المكتبات الفرعية لتغطية المناطق التى تتواجد فيها قوات الحرس الوطني ممثلة في الفرق والالوية والوحدات والمعسكرات،وقد بلغت المكتبات الفرعية في مختلف وحدات الحرس الوطني خمسا وعشرين مكتبة حتى الآن ، وهناك خطة مدروسة لزيادة هذه المكتبات حسب ما تدعو اليه الحاجة ، كما تقوم المكتبة المركزية بتزويد المكتبات الفرعية بحاجتها من الكتب الجديدة والمراجع الهامة ، وكذلك الصحف والمجلات استكمالا لمهمتها بتوفير كافة مصادر المعرفة على جميع المستويات،كما تقوم أيضا بالاشراف على هذه المكتبات وتوالى عقد الدورات التدريبية لامناء المكتبات الفرعية في الفرق والوحدات كل دورة مدتها ثلاثة شهور تدرس فيها المواد التالية : الاجراءات المكتبية - الفهرسة - التصنيف - الاعارة ، كما تقدم المكتبة المركزية الي المكتبات الفرعية الدفعات المتلاحقة من الكتب الجديدة وتتراوح الدفعة الواحدة ما بين مائة الى مائتى كتاب (نسخة) وتقوم المكتبة المركزية أيضا باقامة مكتبة ميدانية مؤقتة في موسم الحج كل عام مهمتها تقديم الخدمات الثقافية لحجاج بيت الله الحرام باشراف ادارة العلاقات العامة .

وتقوم ادارة العلاقات العامة بالعمل على تنفيذ فكرة انشاء مكتبات متنقلة لخدمة الفرق والوحدات القريبة من الرياض ، وهناك ثلاث سيارات كبيرة صممت لهذا الغرض ويجرى الآن اعدادها لهذه المهمة .

وهناك مشروع يجرى تنفيذه لانشاء سبع مكتبات ثقافية نموذجية ثلاث منها في منطقة الرياض - خشم العان - وواحدة في كل من الاحساء - رفحة - عرعر - الطائف ، ويطمح قسم المكتبات الى تحقيق التطلعات الآتية في أقصر وقت ممكن :

١ ــ التأمين المركزى لمكتبات الحرس الوطنى .

٢ ــ اعداد فنى متكامل للكتب قبل ارسالها الى المكتبات .

٣ ــ اعداد فهارس مركزية لجميع محتويات مكتبات الحرس الوطنى .

٤ ــ تنظيم دورات في علوم المكتبات للعاملين بها .

٥ ــ اصدار نشرة بمحتويات المكتبات بالحرس الوطنى .

٦ ــ انشاء قسم خاص يتولى مهمة تبادل المطبوعات (الاهداء والتبادل) .

٧ ــ اشتراك الحرس الوطني في المعارض الدولية لعرض مطبوعاته والاستفادة من العروض الأخرى .

٨ ــ عزم ادارة العلاقات العامة على توظيف مفتشين مهمتهم تفقد سير العمل في المكتبات الفرعية لتظهر بالمظهر اللائق ، ولتؤدى الغرض الذى انشئت من أجله وذلك في مختلف مناطق المملكة .

إدارة العلاقات العامة - الحرس الوطني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

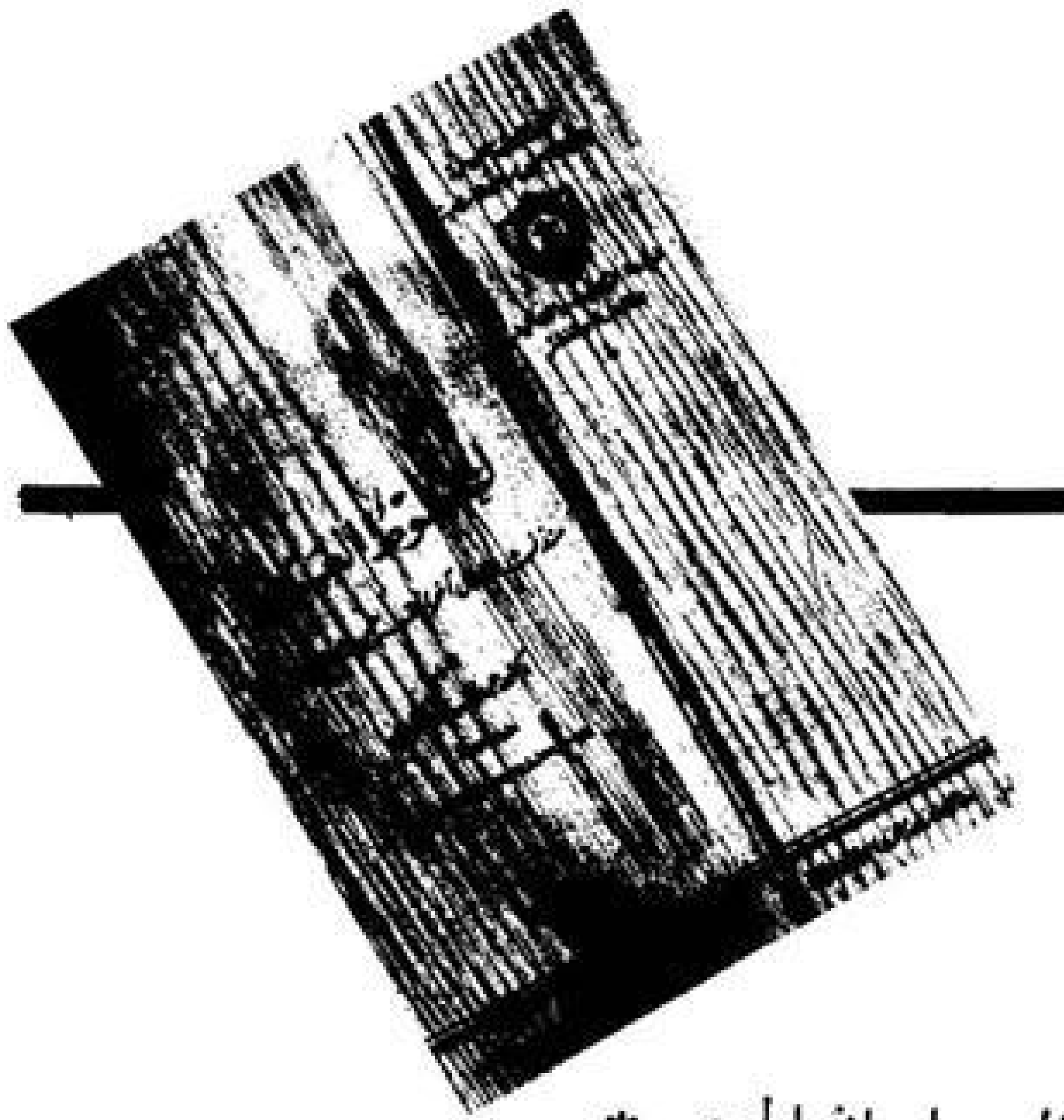

كتاب العدد

المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى

تأليف : عبد الستار الحلوجي

عرض وتحليل : صالح سليمان الحجي *

المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري/عبد الستار عبد الحق الحلوجي ـ الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ، ٣٠٢ ص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.co

تمثل المخطوطات العربية نسبة كبيرة من مقتنيات المكتبات في مختلف بقاع العالم وهي تقوم اليوم شاهدا على ما بلغته الحضارة الاسلامية من شأو وازدهار منذ بزوغ شمس الاسلام ، ولقد مر المخطوط بمراحل عديدة حتى أكتمل في صورة الكتاب المتداول وأصبح ذا شكل موحد ونمط معروف ، والكتاب الذى بين ايدينا يدرس مرحلة من هذه المراحل يمتد زمنها من ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الرابع للهجرة النبوية . بل هي أهمها على الاطلاق حيث أنها شهدت أهم التغيرات ومظاهر التطور التي مر بها المخطوط العربي منذ نشأته .

إن المكتبات اليوم تفتقر للكتب التي تعنى بدراسة تطور المخطوط خلال القرون الأربعة عشر الخالية والتركيز على دراسة القرون الأولى التي حدثت فيها أهم مراحل تكوين المخطوط من حيث النشأة وتطور الكتابة وأدواتها وصناعة المواد التي كانت تستعمل للكتابة وسائر المظاهر الأخرى التي تميز بها المخطوط العربي كالزخرفة والتذهيب والتجليد .

وقد أدرك المؤلف وهو أحد المختصين في شؤون المخطوطات العربية ومن أكثرهم التصاقا بها ،أهمية هذا الجانب من الدراسات التراثية فاستجاب لحاجة المكتبة الحديثة بتأليف هذا الكتاب عن «المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى » .

نبذة عن المؤلف

بدأت علاقته بالمخطوطات العربية والاهتمام بها منذ سبعة عشر عاما حينا عمل أمينا للمخطوطات بدار الكتب المصرية بعد دراسة المكتبات في لندن مدة ثلاث سنوات ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه خلال سنة ١٩٦٩ م ، ودرس بقسم المكتبات بكلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض مدة أربع سنوات ، عاد بعدها كأستاذ مساعد في قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب ، جامعة القاهرة .

وشارك في كثير من المؤتمرات والندوات العالمية الخاصة بشؤون المخطوطات وله أبحاث عديدة ومؤلفات كثيرة من أهمها :

١ ــ لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات .

٢ ــ مدخل لدراسة المرجع .

* بكالوريس تاريخ من جامعة الرياض عام ١٣٩٣ هـ . رئيس قسم المخطوطات بعمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض .

٣ ــ الخدمة المكتبية الريفية .
٤ ــ الزبيري شاعر اليمن .
٥ ــ الملاح التائـه .
٦ ــ المخطوط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى .

وكتابه هذا هو البحث الذى نال به شهادة الدكتوراه مزودا ببعض التعديلات والاضافات على الأصل الذى قدم للمناقشة كرسالة دكتوراه سنة ١٩٦٧ م .

عـرض الكـــتاب

لعل أول قراءة لعنوان الكتاب لا تكلف المرء كثيرا في ادراك محتواه فقد حدد الموضوع والفترة التي سيشملها البحث ولكنها قد تثير سؤالا لدى البعض ، لماذا خصت القرون الأربعة الأولى بهذه الدراسة ؟ وسرعان ما يجيبه المؤلف بأن السبب في ذلك « ... كلما كانت الفترة الزمنية موضع الدراسة قصيرة ، كلما استطاع الباحث أن يتفحصها و يغوص فيها و يستجلي ملامحها وقسماتها »(١) ولكي لا يذهب القارئ بعيدا في تصور محتوى هذه الدراسة ينبه المؤلف إلى أنه «انطلق من دراسته بتناول هذا التراث من زاو ية مكتبية تعني بالمخطوط ككتاب بصرف النظر عن موضوعه ومادته العلمية ، في محاولة للتأر يخ للكتاب العربي منذ نشأته الأولى »(٢) .

وندرك تركيز الكتاب في معالجة هذا الموضوع من خلال التقسيمات التي عمد إليها المؤلف والتبويبات التي صنف كتابه على أساسها ، فقد قسم الكتاب إلى قسمين رئيسين **الأول** عن **ظروف نشأة المخطوط العربي وعوامل تطوره** و يضم ثلاثة أبواب :

١ ــ أدوات الكتابة العربية .
٢ ــ الكتابة العربية ، استعمالاتها وتطوراتها حتى أوائل العصر العباسي .
٣ ــ نشأة الكتاب العربي وعوامل انتشاره .

والقسم الثاني عن **صناعة المخطوط العربي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة** و يضم الأبواب التالية :

١ ــ اخراج المخطوط .
٢ ــ ألوان الفن في المخطوطات العربية .
٣ ــ التجليد والترميم .

وكل باب من هذه الأبواب الستة يقع في فصلين أو أكثر .

وقبل أن يشرع في هذا البحث قدم له بتوطئة ضافية بسط فيها موضوع الكتاب وأشار إلى ظروف تأخره إلى هذا الوقت ، ومدى ماحدث من تعديل واضافات في أصل البحث ، ثم شرع في معالجة أول موضوع في الكتاب وهو دراسة **ظروف نشأة المخطوط العربي وعوامل تطوره** وفي هذا الفصل دراسة لأنواع المواد التي كانت تستخدم للكتابة عليها في العصر الجاهلي وخلال القرون الهجرية الأولي ، وفي هذا الاطار بيّن كيف كان لورق البردى أثره في نقل الكتابة العربية إلي مرحلة جديدة من مراحل نموها وتطورها حتى أصبح هذا النوع من الورق يتصدر مواد الكتابة في العصر الأموى وأول العصر العباسي ثم دخول صناعة الورق في عصر هارون الرشيد وانتشارها من العراق و بلاد ما وراء النهر و الشام وفلسطين والمغرب العربي ، وقد أكد المؤلف فضل العرب في ادخال صناعة الورق إلى اورو با عن طريق الأندلس منذ القرن الثاني عشر للميلاد ووصفه بأنه لايقل عن فضلهم في الحفاظ على تراث الانسانية ونقل الثقافة اليونانية القديمة إلى الغرب في العصور الوسطى .

ثم انتقل للحديث عن الأدوات التي كانت تكتب بها الكتب فأوضح لنا كيف كانت الأقلام وكيف تطورت بدءا باستعمال السكين والسعف وانتهاء بالقصب والمداد المستخدم في الكتابة خلال الفترة موضوع الدراسة .

والنتيجة التي يستخلصها المؤلف أن المخطوط العربي ظل محدودا بمادتي البردى والرق خلال القرن الأول ونصف القرن الثاني الهجري ، ثم انتقل (أي المخطوط) إلى عصر الورق ، أما أدوات الكتابة فكانت تتمثل في المداد والأقلام القصبية والمحابر التي كانت تمثل أهم عتاد طلبة العلم آنذاك (٣) .

وفي الباب الثاني من القسم الأول خصص المؤلف فصلا للحديث عن الكتابة في العصر الجاهلي بدأه بنبذة عن معرفة العرب للكتابة والتطورات التي مر بها الخط العربي حتى انتقل من الصورة النبطية إلي الصورة العربية خلال القرن الخامس الميلادى ، ثم بين أن الكتابة في ذلك العصر لم تتجاوز الحفر في الصخور والنقش في الحجارة ، وفي اطار بحث هذا الموضوع يستطرد المؤلف في مناقشة ما ذكر عن المعلقات السبع أو العشر التي اشتهرت قصتها في الكتب على مختلف العصور وانقسم الناس حولها إلى فئة تتناقل أخبارها اعتقادا بصحتها ، وفئة أخري تنكر وجود هذه المعلقات وتبرز الحجج التي تستند إليها في هذا الانكار والتي تثبت بالدليل القاطع أن قصة هذه المعلقات «ليست في حقيقة الأمر إلا ضربا من الاساطير»(٤) وإلى مذهب الفئة الأخيرة يذهب الأستاذ المؤلف .

وفي فصل آخر يتحدث المؤلف عن الكتابة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين و يبين كيف كان ظهور الاسلام بداية لمرحلة جديدة في تار يخ الكتابة العربية ، ففي عهد الرسول (ص) كان يتم تدو ين القرآن على يد كثير من كتاب رسول الله وفي عهد أبي بكر تم جمع القرآن وفي عهد عثمان بن عفان تمت كتابته في مصحف وزع على الأمصار الاسلامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى فصل ثالث ينتقل للحديث عن الكتابة في العصر الأموى والعصر العباسي فيشير بالتفصيل إلى عدة تطورات خطيرة في شكل الكتابة العربية تتلخص في :

١ ــ دخول نقط الاعراب على يد أبي الأسود الدؤلي حيث أنه أول من شكل أواخر الآيات بطريقة النقط .

٢ ــ دخول اعجام الحروف على يد الحجاج في العراق حينما أمر كتابه باعجام الحروف المتشابهة بنقطها للتمييز بينهما .

٣ ــ ما قام به الخليل بن أحمد من ابدال النقط التي وضعها أبو الأسود بعلامات الاعراب المعروفة حاليا بالفتحة والضمة والكسرة .

و بعد أن فرغ المؤلف من بحثه عن الكتابة العربية في القرون الهجرية الأولى يرقى بنا خطوة في سلم بحثه القيم فيشرع في الكلام عن **الكتاب العربى وعوامل انتشاره** و يبدأه بالحديث عن أهم مظاهر **تطور المخطوط العربى وانتشاره** وهو **ظهور حركة التأليف والترجمة** التي يعيد بدايتها لمنتصف القرن الأول الهجرى ، و يبسط البحث في ذلك و ينتهي إلى تقرير أن هذه الحركة نشأت نشأتها الفعلية في القرن الثاني ، وازدهرت في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن (الرابع)(٥) ولتأكيد هذه الحقيقة يورد المؤلف أمثلة وشواهد لعدد من العلماء الذين كانت كتبهم تعد بالمئات مستشهدا بالإمام الشافعي (المتوفي سنة ٢٠٤ هـ) وهشام الكلبي (ــ ٢٠٦ هـ) وجابر بن حيان (ــ ٢٠٠ هـ) والمدائني (ــ ٢٢٥ هـ) والواقدى (ــ ٢٠٧ هـ) واسحاق بن ابراهيم الموصلي (ــ ٢٣٥ هـ) باعتبارهم يمثلون روح ذلك العصر وطبيعته و يعطوننا صورة لحركة التأليف في زمانهم (٦).

هذا بالنسبة للتأليف أما الترجمة فانها ــ كما يثبته المؤلف ــ ظهرت في عصر هارون الرشيد حينما كان يوحنا بن ماسويه مسئولا عن الترجمة في (بيت الحكمة) ولكنها ــ أى حركة الترجمة ــ ازدهرت في عهد المأمون والمتوكل العباسيين حيث اشتهر عدد من المترجمين وأثروا (خزانة الحكمة) بما نقلوه من التراث اليوناني إلى اللغة العربية .

و بعد الإفاضة في بحث حركة التأليف والترجمة يبرز المؤلف أهم النتائج التي أدت إليها هذه الحركة ، وهي انتشار خزائن الكتب في مختلف الامصار الاسلامية ، و بين كيف كانت (خزانة الحكمة) أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب حيث كانت مركزا للثقافة والترجمة يؤمه طلبة العلم من كل حدب وصوب ، وإلى جانب هذه المكتبة العظيمة انتشرت المكتبات في ديار الاسلام منذ أوائل القرن الرابع ، واشتهر منها مكتبتان الأولى للفاطميين في مصر والثانية للأمويين في الاندلس .

وفي الوقت الذى يشير المؤلف إلى تميز ذلك العصر بتطور حركة التأليف والترجمة و بناء المكتبات ، ينبه إلى ما صاحب ذلك من شغف الناس بالقراءة والاطلاع الواسع والرغبة في اقتناء الكتب ، تلك الظاهرة التي تحولت فيما بعد إلى جمع الكتب للزينة وكمظهر من مظاهر الترف لا كأداة من أدوات التثقيف .(٧)

بعد ذلك وفي اطار بحث المؤلف **نشأة الكتاب العربي وتطوره** ينتقل للحديث عن الورق كمادة رئيسية في صنع الكتاب وعن الوارقة كمهنة برزت في ذلك العصر وساهمت في نشر الثقافة الاسلامية و يفرد لهذا الموضوع فصلا مستقلا .

و يرد المؤلف ظهور مهنة الوراقة إلى أنها نتيجة لتلك الحركة العلمية التي سادت آنذاك ، و يبين أن هذه المهنة كانت تشمل انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها و بيعها . وقد وجدت في أواخر القرن الأول الهجرى وازدهرت في أواخر القرن الثاني والقرن الثالث والرابع كحرفة تقوم بها طبقة من الناس تعرف بالوراقين .

و يفصل الكلام عن حركة الوراقة خلال القرون الأربعة الهجرية الأولي ، كيف بدأت ، وكيف تطورت ، ومن هو أول الوراقين ، ومن اشتهر منهم ، وكيف كانت الوراقة في الاندلس وفي بغداد ، ثم يتحدث عن الوراقة كمصدر للرزق وكيف تقلبت أحوالها بين بضاعة رائجة في بعض الأحيان وتجارة كاسدة في أحيان أخري ، وعن الوراقين وأماكن عملهم وعلاقتهم بالعلماء والمؤلفين ، ومدى ما بلغته فئات منهم من أمانة ونزاهة أو تزييف وتلفيق واختلاق .

لقد بحث المؤلف كافة هذه الجوانب ورسم صورة لحركة الوراقة منذ نشأتها إلى أن بلغت قمة مجدها في القرن الثالث والرابع الهجريين وأصبحت ــ على حد قوله ــ «تعكس جانبا مضيئا ليس في تاريخ الثقافة العربية فحسب وإنما في تاريخ الحضارة الانسانية كلها »(٨) .

القسم الثاني من الكتاب **صناعة المخطوط العربي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة** وقد خصص الباب الأول فيه للكلام عن **اخراج المخطوط** فبدأه بالاشارة إلى دور **التأليف والاملاء** في اغناء المكتبة الاسلامية بالمخطوطات حيث كانا كالرافدين اللذين تدفقت عبرهما هذه المخطوطات . ثم الحديث عن مجالس الاملاء وانتشارها وظهور كثير من كتب (الأمالي) خاصة في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع ، و يثبت المؤلف أنه في الوقت الذي يشكل التأليف والاملاء عنصرين أساسيين في اخراج المخطوط فان **كتابة المخطوط** تمثل العنصر الثالث ، لذا فقد شمل حديثه عن هذا العنصر تاريخ الخط العربي وتطوره ومشاهير البارعين فيه حتى أوائل القرن الخامس الهجرى حينما «توج ابن البواب جميع مراحل التطور التي مر بها الخط العربي خلال القرون الأولى»(٩) .

ثم يشير بالتفصيل إلى النظام المتبع في تصنيف تلك الكتب وكيف كانت ترتب المعلومات فيها ، صفحة العنوان ، بداية المخطوط ، عناوين الفصول والعناوين الجانبية ، الهوامش ، التسطير ، علامات الترقيم ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاختزال في الكتابة ، التصويبات والاضافات ، نهاية المخطوط ، أحجام الأوراق ، ترقيم الصفحات ، التعقيبات والسماعات والتملكات ..

الباب الثاني من القسم الثاني من الكتاب يشمل **«ألوان الفن في المخطوطات العربية»** والفصل الأول فيه خاص **بالصور والرسوم** وقد بحث المؤلف هذا الموضوع بحثا مستفيضا يتناسب مع أهميته لدارس المخطوط العربي والفن الاسلامي بشكل عام .

وفي مقدمة حديثه عن **الصور والرسوم في المخطوط العربي** تطرق لموقف الاسلام مِّن التصوير بأنواعه وأوضح مدى التأثر والتأثير في الحضارتين العربية والفارسية ومعرفة العرب التصوير مما أدى إلىٰ ظهور كتب مصورة كثيرة ككليلة ودمنه وغيره من الكتب التي اشتملت على صور الأرض وخرائط الأقاليم والبلدان .

و ينتهي المؤلف من خلال هذا البحث الواسع إلى استخلاص النتيجتين التاليتين :

١ ــ أن فن الرسم والتصوير في المخطوط العربي كان وليد الفن الفارسي والقبطي بصفة خاصة ، وأنه اكتسب من هذين الفنين بعض سماتها ، ولكنه احتفظ بخصائصه وسماته العربية الاسلامية التي بدأت تتضح شيئا فشيئا وتزداد بمرور الزمن أصالة واستقرارا .

٢ ــ أن الصور والرسوم قد عرفت طريقها إلى مخطوطات القرون الأربعة الأولى للهجرة ولكنها في تلك الحقبة من التاريخ كانت وسيلة لا غاية ، وكانت توضيحية لا جمالية .

بعد ذلك ينتقل إلى لون آخر من ألوان الفن في المخطوط العربي وهو **الحليات والزخارف** فيعطينا نبذة عن تاريخ الزخرفة كفن عربي واسلامي ، و يبين لنا مراحل تطور هذا الفن في الكتاب العربي ، و يعير اهتماما كبيرا لما تميزت به المصاحف من زخرفة وحليات باعتبارها ميدانا رحبا لدراسة الزخارف الاسلامية ، ثم يصور مدى تطور هذا الفن والتوسع في استعمال الأشكال الهندسية والتزين بماء الذهب ومعظم الألوان المعروفة ، وكيف أن هذا التطور يعبرعن تأثر العرب بنماذج الزخرفة في تراث الأمم الأخرى وفي الوقت نفسه تميزهم بسمات واضحة بل وانفرادهم في الزخارف الخطية التي قامت على أساس الاستفادة من طبيعة الحروف العربية(١٠) .

وفي الفصل الثالث من هذا الباب يبحث المؤلف فن **التذهيب** فيذكر أنه قد دخل عالم المخطوطات العربية منذ القرن الثالث الهجري . وقد ارتبطت نشأة هذا الفن عند العرب بالمصحف الشريف حيث كان هو الكتاب الوحيد الذى يلقى العناية القصوى كتابة وتذهيبا .

وفي اطار بحث هذا الموضوع يرد القول بأن التذهيب كان مستعملا في عصر صدر الاسلام ، و ينفي ما نسب لعلي بن أبي طالب أنه أول من ذهب مصحفا(١١) مبررا هذا الرد بأن «جيل الصحابة والتابعين كان يتحرج من ادخال أى شيئ على كتاب الله حتى لو كان ذلك مجرد حلية أو زينة»(١٢) .

و يسير المؤلف بنا قدما في تتبع تطور هذا الفن ومدى مالقيه من عناية واهتمام منذ أواخر القرن الثاني وخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين حتى أصبح فنا ومهنة ومظهرا من المظاهر «التي تعلمها الايطاليون من أساتذتهم المسلمين»(١٣) .

و يتابع المؤلف بحثه في مختلف الأعمال التي كان يقوم بها الوراقون فيحدثنا في الباب الثالث من القسم الثاني من الكتاب عن **التجليد والترميم** ، تلك المهنة التي عرفها العرب عن طريق الأحباش ، و يشير إلى أن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين لوحين ، وكذا استمرت الحال في القرنين الأولين للهجرة حيث كان التجليد بالخشب ، ثم بدأ في أواخر القرن الثاني استعمال الجلد في تجليد الكتب ، واستمرت هذه المهنة تتطور شيئا فشيئا حتى اصبحت تلقى عناية واهتماما خاصين في العراق واسبانيا على وجه الخصوص ، ثم يصور لنا المؤلف مدى ما بلغه فن التجليد في القرن الرابع من رقي واتقان ، حتى اصبح محل اعجاب الأوروبيين في العصور الوسطي وجعلهم يتأثرون به و ينقلونه إلى أوروبا عن طريق اسبانيا .

أما عن ترميم الكتب خلال الفترة التي يدرسها المؤلف فهو أقل موضوعات الكتاب سعة في البحث و يعلل صاحب الكتاب ذلك بأنه «لم يبق لنا من آثار تلك القرون الأربعة الأولى دليل مادى على وجود تلك الصناعة مما يدعو للظن بأن المجلدين هم الذين كانوا يقومون بترميم الكتب ولم يكن ذلك قد اصبح مجالا للتخصص»(١٤) .

وفي آخر الكتاب يتحفنا المؤلف بخاتمة أجمل فيها كل ماتم بحثه ورسم صورة متكاملة تعبرعن مدى ما تميزبه هذا البحث من استقصاء وتعمق في دراسة كل ما يتعلق بالمخطوط العربي خلال القرون الهجرية الأولي ، و يستطيع المرء من قراءة هذه الخاتمة استخلاص أهم النتائج في النقاط التالية :

١ ــ ارتباط تاريخ المخطوط بتاريخ كتابة المصحف الشريف .

٢ ــ أن ظهور الاسلام يعتبرعاملا مهما وخطيرا في تاريخ المخطوط العربي وتطوره نحو النضج والكمال .

٣ ــ أنه في القرن الأول للهجرة انتشرت الكتابة بين العرب ودخلها الشكل والاعجام وظهرت بواكير حركة التأليف ، ثم شهد القرن الثاني تبلور الكتابة العربية في صورتها النهائية ، و بلوغ حركة التأليف والترجمة ذروة نشاطها .

٤ ــ بالنسبة للأدوات والمواد التي استعملها العرب في كتابة المخطوط

خلال القرون الأولى للهجرة ، تتمثل في الرق كأقدم المواد ثم البردى بعد فتح العرب لمصر ، ثم الورق الذى جلبوه من الخارج ثم صنعوه في العراق والشام وفلسطين والمغرب . وقد استعمل العرب الأقلام المصنوعة من الغاب أو القصب والمداد المستورد من الصين والدوى المصنوعة من الخشب أو المعدن أو الزجاج .

٥ ــ شهدت القرون الأربعة الأولي تطور الخط العربي وتعدد صوره واشكاله .

٦ ــ قبل نهاية القرن الرابع الهجري كانت الكتب المصورة والموضحة بالخرائط والرسوم البيانية قد ظهرت في دنيا العرب .

٧ ــ عرف العرب الزخرفة خلال تلك الفترة ورغم تأثرهم ببعض الزخارف الفارسية والرومانية إلا أنهم أوجدوا أنماطا زخرفية ارتبطت بهم مثل الأرابسك والزخرفة الخطية .

٨ ــ فن التذهيب عرفه العرب عن طريق الفرس ، وشاع استعماله عندهم منذ أواخر القرن الثاني و بلغوا في التفنن فيه درجة كبيرة حتى تعلمه الأوربيون منهم . كما أخذ العرب فن التجليد عن الأحباش و بدأوه باستعمال الخشب ثم الجلد في أواخر القرن الثاني الهجري ، ولم تلبث صناعة التجليد العربية حتي ازدهرت وتأثر بها الأوربيون مثلما تأثروا بغيرها من مظاهر الحضارة الاسلامية .

٩ ــ تعتبر القرون الهجرية الأولي أخصب الفترات في تاريخ المخطوط العربي لأنها شهدت تطور الخط العربي والكتابة العربية وحركة التأليف والترجمة وتطور صناعة الكتاب العربي من أبسط صورها إلى أن بلغت درجة النضج الفني .

أهميــة الكتــاب

كما سبقت الاشارة في أول الحديث إن هذا الكتاب يأتي تلبية لحاجة المكتبة الحديثة . فهو بحق يعد مرجعا مهما ليس للباحث في تاريخ المخطوط كجزء من التراث الاسلامي فحسب ، بل لكل المهتمين بشؤون المخطوطات والقائمين علي العناية بها والتعريف بكنوزها ، و يشد القارئ لهذا الكتاب طريقة المؤلف في عرض المعلومات ومناقشتها بأسلوب سلس ممتاز يدل على الخلفية العلمية لديه والقدرة على الاستنتاج والاستخلاص المبني على استقراء المصادر التي اعتمد عليها في بحثه والتي تربو على (١٨٢) كتابا بعضها باللغة العربية ، و بعضها معرب ، والبعض الآخر بلغات أجنبية .

لقد خطا بنا المؤلف عبر كتابه هذا خطوات متئدة فاحصة على طول الطريق الذى ساره المخطوط العربي خلال أربعة قرون ، وفتح لنا سبيلا يجدر بنا سلوكه لاستكمال المسيرة والسير على منهجه في دراسة المخطوطات في العصور التالية ذلك أن القرن الخامس الهجرى فما بعد يعد امتداد لمرحلة النضج الفني والوضوح التي بلغها المخطوط في القرون الأربعة الأولى ، كما صور لنا ذلك الاستاذ المؤلف في هذا الكتاب .

ملاحظات ونقــد

طبع هذا الكتاب سنة ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م بمطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض وهو الكتاب الرابع ضمن سلسلة الكتب التي تشرف على طبعها لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، يقع في (٣٠٢ ص) ويمتاز بطباعة نظيفة خالية من الأخطاء اللهم إلا في سقطات قليلة جدا .

ولعل الإشادة بهذا الكتاب وتقدير قيمته العلمية لا تشفع لنا في التغاضي عن بعض الملاحظات التالية التي تجدر الإشارة إليها :

١ ــ رغم أن الكتاب يحتوى على لقطات مصورة لبعض نماذج المخطوطات إلا أن هذه الصور محدودة وكان الاجدى الاكثار منها لترتسم الصورة في ذهن القارئ بشكل أفضل .

٢ ــ لو كانت هذه الصورة ملونة لكانت اكثر فائدة وأقرب تصورا للقارئ حيث أن بعض النماذج التي وردت في الكتاب غير واضحة بالتصوير الأبيض والاسود كتلك التي وردت في ص ٢١١ ، ٢٥٨ وغيرهما .

٣ ــ المخطوطات التي اطلع عليها المؤلف واعتمد في دراسته على نماذج منها مثل بعض المصاحف في دار الكتب المصرية ومجموعة الأرشيدوق بفيينا حبذا لو وضعت لها فهرسة أو وصف في آخر الكتاب كنوع من التعريف بها للقارئ ، خاصة وأن هذه المجموعة هي مضرب المثل في مختلف جوانب البحث ، أقول هذا ولا أغفل ماقام به المؤلف من الإشارة إلى المصادر أو الفهارس التي استقى منها بيانات هذه المخطوطات .

خــاتمــة

إنني اذ أقدم هذا التحليل المتواضع لأدعو كافة المهتمين بالتراث الاسلامي للافادة من هذا الكتاب فهو بحق مرجع جدير بالاهتمام وصادر عن متخصص في شؤون المخطوطات .

فكم نحن في حاجة لدراسة تراثنا والعناية به ، ولعمرى إن قراءة مثل هذا الكتاب لا تقل فائدة عن التأليف في مثل موضوعه خاصة فى هذا العصر الذى عزف الكثيرون منا عن دراسة الماضي واستكشاف خفاياه .

---

(١) ص ٦ من الكتاب . (٢) ص ٥ من الكتاب (٣) ص ٤٣ (٤) ص ٥٦ (٥) ص ١٠٣ (٦) ص ١٠٥ (٧) ص ١٢١ ــ ١٢٢ (٨) ص ١٣٩

(٩) ــ ص ١٦٥ ، وقد وقفت على نسخة من القرآن الكريم بخط ابن البواب سنة ٣٩١ هـ مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة شستربيتي ببريطانيا وهي بحق تمثل ما بلغه الخط العربي على يد ابن البواب من تطور واتقان .

(١٠) ص ٢٣٤ (١١) ص ٢٣٩ (١٢) ص ٢٣٩ (١٣) ص ٢٤٣ (١٤) ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العـــرض والتحـلـيـل

أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره

تأليف نورة الشملان

أبو ذؤيب الهذلي : حياته وشعره/نورة الشملان . ـ الرياض : جامعة الرياض ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ، ١٧٨ ص .

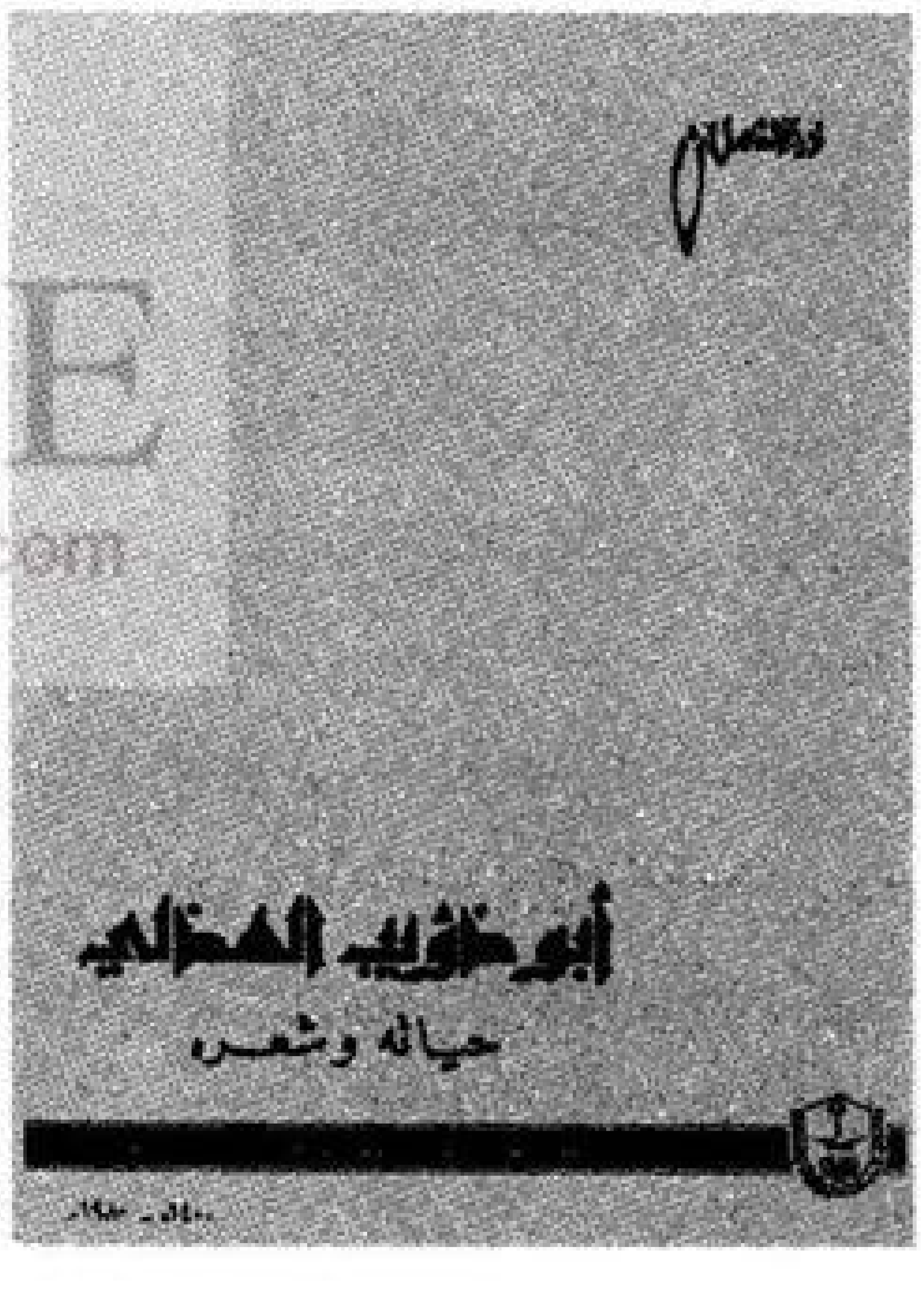

عرض وتحليل : عبد الله عبد الرحيم عسيلان

● دكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٣٩٧ هـ ، أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية ووكيل عمادة شؤون المكتبات بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية .

يعد أبو ذؤيب الهذلي واحدا من فحول الشعراء الذين اعتصرهم الألم وعاشوا صورة حية ناطقة لما يعتمل في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس ، وانطلقوا في شعرهم بوحي من تجاربهم الشعورية ، وبما يعج في محيطهم وبيئتهم من مشاهد ورؤى ، وقيم ومبادئ ترجموا عنها ترجمة صادقة لا تصنع فيها ولا تزيف .

عاش أبو ذؤيب صدرا من العصر الجاهلي ، وكتب له أن يدرك الاسلام ويسلم ، وينتمي إلي قبيلة هذيل التي تسكن منطقة شمال الحجاز وسلسلة جبال السراة بين تهامة ونجد ، وهي قبيلة عريقة ينتهي نسبها إلى معد بن عدنان وحسبك بها من قبيلة خلفت لنا علي مر الاجيال تراثا أدبيا ولغويا ثرا استوعبه تاريخنا الأدبي واللغوي وأشاد به ، ومن المؤسف أن جزءا كبيرا من شعرهم ضاع ولم يصل إلينا منه سوى ما جمعه وشرحه أبو سعيد السكرى «ت ٢٧٥» وطبع في مصر بتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، وهي المجموعة التي ظفرنا بها من مجاميع دواوين أشعار القبائل التي أشار الآمدى إلى ستين منها إشارات توحى أنه وقف عليها وطالعها (١) .

وقد احتل شعر هذيل مكانة مرموقة لدى النقاد القدامي ، فهذا ابن سلام الجمحى يذكر أن أبا عمر بن العلاء قال : «سئل حسان من أشعر الناس ؟ قال حيا أو رجلا . قال حيا . قال : أشعر الناس حيا هذيل . وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب» (٢) ويعقب ابن سلام على ذلك

بقوله «هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله» .

ومثل هذا الحكم له وزنه وقيمته في ميزان النقد والتقوم من جهتين : جهة لكونه صادرا عن شاعر مشهور يجيد فنون القول ، و يعلم مداخل الشعر ومساربه ، ومن جهة أخرى تأكيد ابن سلام الجمحي وهو من رواد النقد العربي القديم لهذا القول المروى عن حسان بن ثابت رضى الله عنه ، أما لغة هذيل فهي مثل حي للفصاحه والبيان والجزاله إلي جانب شيوع الغريب فيها وانفرادها ببعض الظواهر اللغوية التي لا توجد لدى غيرها من القبائل الأخرى ، وقد انعكس ذلك كله على شعرائها مما يفسر لنا اهتمام اللغويين والنحويين في الاكثار من الاستشهاد باشعارهم .

في ربى هذه القبيلة العريقة ، وفي صحرائها وجبالها وتلالها وأطلالها وديارها درج أبو ذؤيب يستنطق أحاسيسه ومشاعره و يسكب منها شعرا قويا فصيحا جزلا حافلا بالصور والقصص معبرا عما حوله ، وما يعتمل في نفسه من حزن وابتهاج أو اعجاب بالقيم والمثل العليا .

ولعل من يتتبع شعراء هذه القبيلة من خلال ما وصل إلينا من شعرهم يجد أن أبا ذؤيب الهذلي يأتي في مقدمتهم ، ومن ألمع شعرائهم ، و يؤيد ذلك ما شهد به حسان بن ثابت فيما سقناه عنه من قبل إذ شهد أنه أشعر هذيل غير مدافع .

وعلي الرغم من هذه المكانة لم ينل هذا الشاعر العظيم حظه الوافي من الدراسة لحياته وشعره ، ولم يكن نصيبه من النقاد ومؤرخي الأدب القدامى سوى نتف من أخبار ضئيلة،ولمحات سريعة حوله وحول شعره، وهي لا تشكل شيئا لمن أراد أن يبسط القول في حياته و يستجلي كوامن أحاسيسه ومشاعره .

ولا أدرى إلى أى شئ كان سيؤل مصيره لولا عينيته المشهورة في الرثاء ، التى نال بها منزلة كبيرة لدى النقاد القدامي و بعض المحدثين . وهل لي أن أقول أن هذا التجاهل ، أو شبه الصمت لم يكن مقصورا على أبي ذؤيب وحده بل إن له اندادا من الشعراء المرموقين الذين نجهل شيئا كثيرا من اخبارهم واشعارهم ولا يزالون طي الكتمان ينتظرون من يبرزهم إلي حيز الوجود اثراء لتاريخنا الأدبي ، ولكي نقف علي صورة واضحة الرؤية لأدب تلك الفترة التي يعيشون فيها .

واسهاما منى في القاء الضوء علي الدراسات الادبية الجادة في هذا المضمار بادرت بالاستجابة حين طلب المشرف علي تحرير مجلة عالم الكتب أن أشارك باعداد عرض لكتاب «أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره» ذلك لأننا بحاجة إلي مثل هذه الدراسات التي تكشف النقاب عن أدب فترة غنية بالأدباء والشعراء المرموقين الذين نجهل الشئ الكثير عن بعضهم ، هذا إلي جانب احساسي بالاستزادة من القراءة حول أبي ذؤيب الهذلي الذي أتصور أنه لا يزال بحاجة إلي مزيد من الضوء للكشف عن جوانب حياته وشعره ، وكنت من قبل قد قرأت الكتاب القيم الذي درس فيه الدكتور/أحمد كمال زكى ــ شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي ، وأفرد فيه فصلا لدراسة أبي ذؤيب وشعره دراسة موجزة .

والكتاب الذي بين يدى تمخض لدراسة أبي ذؤيب الهذلي ، و يعد حسب علمي أوسع بحث تناول حياة الشاعر وشعره بالدراسة والتحليل على أسس علمية وفنية أدبية . وهو من تأليف السيدة : نوره الشملان المحاضرة بكلية الآداب جامعة الرياض ، وقامت بنشره عمادة شئون المكتبات بالجامعة و يقع في ١٧٨ صفحة من حجم الفولسكاب تقريبا .

وأصل الكتاب . رسالة نالت بها الباحثة درجة الماجستير في الآداب من جامعة الرياض عام ١٣٩٨ هـ .

وقد تهيبت الباحثة في بداية الامر من الأقدام علي دراسة أبي ذؤيب نظرا لشيوع الغريب في شعره ، ولوعورة معانيه في كثير من الأحيان ، إلا أنها اقتنعت بعد معايشة شعره بضرورة اقتحام هذه المجاهل لما ينطوى عليه شعره من قيم فنية تستحق الوقوف عندها ومحاولة استجلائها .

وجاء الكتاب موزعا علي خمسة أبواب ، اشتمل الباب الأول على فصلين تناول الفصل الأول منها أصل هذيل ومنازلها ، واختص الثاني بحياتها الدينية والاجتماعية والباب الثاني لحياة الشاعر وأخباره ، وكان الباب الثالث للدراسة الموضوعية للشعر وانتظم في أربعة فصول ، الأول للرثاء ، والثاني للوصف ، والثالث للغزل ، والرابع لاغراض أخرى كالفخر والمديح والهجاء ووصف الخمر ، أما الباب الرابع فتناول شعر أبي ذؤيب بالدراسة الفنية في ثلاثة فصول: الأول للغة الشاعر وأسلوبه، والثاني لخياله الشعري ، والثالث لبناء القصيدة ، وفي الباب الخامس عرض لمواقف النقاد القدامى والمحدثين من شعر أبي ذؤيب ، واشتمل على فصلين الأول لبيان اهتمام اصحاب المجاميع الشعرية والنقاد القدامى بشعر أبي ذؤيب ، والثاني تحدث عن موقف النقاد المحدثين .

علي أن الباحثة لم تقف في دراستها لأبي ذؤيب عند حدود ما ورد من أخبار ضئيلة في المصادر عن حياته ، بل حاولت جاهدة أن تستنير بشعره في الكشف عن جوانب كثيرة من حياته ، وهي تستلهم بذلك المنهج الحديث في الدراسات الأدبية ، الذي يميل إلي تجسيد حياة الشاعر من خلال شعره .

وفي الجولة الأولي مع الباحثة في هذه الدراسة الجيدة تحدثنا عن نسب هذيل ومنازلها فهم ينتسبون إلي معد بن عدنان ، وجدهم مدركة ابن الياس.ومنازلهم في شمال الحجاز والجبال الفاصلة بين تهامة ونجد، ولم يعرف عنهم سكنى مدن الحجاز المشهورة من مثل مكه والمدينة والطائف ، بل كانوا متفرقين في الصحراء والجبال المحيطة بهذه المدن ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لهذه العزلة أثرها الواضح على لغتهم وشعرهم .

ومن حيث حياتهم الدينية وعقائدهم نجد أن هذيلا كانت كغيرها من القبائل العربية قبل الأسلام تدين بالوثنية . وكان لبعضهم مواقف عدائية من الرسول ودعوته ، وحين جاء الاسلام أسلم كثير منهم وأبلي بلاء حسنا كعبد الله بن مسعود ، وأبي ذؤيب الهذلي وأبي خراش .

وحياتهم السياسية لا تعرف الاستقرار لكثرة حروبهم التي جعلتهم يفقدون ضحايا كثيرة من ابنائهم ، ثم يرثونهم بالشعر مما أدى إلي كثرة قصائد الرثاء في ديوان الهذليين ، وتحدثنا الباحثة حديثا سريعا عاجلا عن لغة هذيل وتكتفي بالوقوف على بعض الظواهر من مثل فتح عين فعلات جمع فعله المعتلة العين فيقولون عورات ، بيضات ، واستبدال العين بالحاء في كلمة حتي ونحوذلك من الظواهر اللغوية الأخري .

وحين وصلت إلي أبي ذؤيب سردت نسبه ، ولم تتحدث عن طفولته وصباه حيث لم تسعفها المصادر بشئ من ذلك .

وافصحت عما كان لأم عمر من شأن في حياة أبي ذؤيب فقد شغف بها حبا يقول :

أبي القلب إلا أم عمرو وأصبحت   تحرق ناري بالشكاة ونارها

إلا أنه كان قلقا بين الكلف بها والترقب بخوف ووجل من مصير هذا الحب لظروف تحدثت عنها الباحثة (ص ٤١) وما بعدها .

كما عرضت لاسلام أبى ذؤيب وما كان من شأنه حين انتقل إلي مصر وحل بها الطاعون الذى أتي علي خمسة من أولاده في سنة واحدة ، وكان لذلك أثر كبير على نفسه مما أثار فيه كوامن الأسي والحزن ، وكان نصيب الأدب من هذه الفاجعة عينيته المشهورة في رثاء ابنائه والتي تعد من عيون الشعر العربي .

وفي الدراسة الموضوعية لشعر أبي ذؤيب تقف الباحثة طويلا عند غرض الرثاء على اعتبار أنه الغرض الذي برز فيه الشاعر بالنسبة للأغراض الأخري ، وقد اجادت إلى حد كبير في تحليل قصيدته العينية المشهورة تحليلا أدبيا يكشف عما تنطوى عليه من قيم فنية وتعبيرية ، وتخلص من ذلك إلي أن «عينيته التي استحقت اعجاب النقاد قديما وحديثا ، هي التي تقف في مقدمة قصائد رثائه لما اشتملت عليه من دقة في التصوير وتتابع في الصور ، كما أن مراثيه الأخرى لا تبلغ من حرارة التفجيع ما بلغته العينية ، ففى أبياتها لوعة حقيقية نابعة عن عاطفة صادقة وشعور عميق بالحزن . وكان يميل أحيانا في مراثيه إلي الرمز الذي يمثل صراع الحيوان مع الموت في البرية .

وقد وصف أبو ذؤيب الطبيعه بحيوانها وجمادها وأجاد الوصف ولاحظت الباحثة أنه اهتم بابراز الألوان ، وعمد إلي نقل الأصوات المصاحبة للصورة التي يصفها ، كما أهتم بنقل المشاعر الداخلية للحيوان ينقل لنا خوفه وترقبه .. وكأنه ينفذ إلي اعماقه ، ويحرص على تسجيل جزئيات الصورة التي يتناولها أما الغزل فيرتبط عند أبي ذؤيب غالبا بالوصف والرثاء ، وله مظهران : الأول الوقوف على الأطلال ، والثاني وصف محاسن المحبوبة ، واستعرضت الباحثه بعض أبيات الغزل وانتهت إلي نتائج جيدة منها :

١ ــ أن أبا ذؤيب لم يكن يجيد الحديث عن أحاسيس المرأة وانفعالاتها ومشاعرها .

٢ ــ أن الغزل عند أبي ذؤيب كان في كثير من قصائده وسيلة لا غاية فهويدعي سؤال المحبوبة له عن سبب شحوبه وضعف جسمه ليتخذ من ذلك السؤال منطلقا لعرض آلامه وما أصابه من نكبات .

٣ ــ أن أبا ذؤيب حين تتركه أوتدير ظهرها لعواطفه فهوعلي استعداد دائم لنسيانها وكرر هذه النغمة اكثر من مرة (انظر مثلا شرح أشعار الهذليين ١/٨٠ ــ ٨٢) .

ومن النادر أن نجد في شعر أبي ذؤيب أغراضا أخرى كالفخر الذي ليس له فيه قصيدة مستقلة ، وكذلك المدح والهجاء .

وحين نصل مع الباحثة إلي الدراسة الفنية للشعر نجدها تتحدث عن لغة الشاعر وتعرض لبعض استخداماته اللغوية التي وفق فيها وجانبه التوفيق في بعضها أحيانا ، كما تناولت ظاهرة شيوع الغريب في شعره ، وتقدر أن ذلك يعود إلي طبيعة موضوعاته ، ولكونه عاش في البادية بين مظاهر الصحراء ، إلي جانب عزلة هذيل في داخل ديارها وعدم اشتغالهم بالتجارة كغيرها من القبائل التي سهلت لغتها لاختلاطها .

ومن الظواهر الأسلوبية التي وقفت عليها في شعره استخدام الاستفهام في بعض افتتاحياته والأسلوب القصصي ، وكثرة استخدام حروف العطف ، والتصريح (انظر ص ٩٧ وما بعدها من كتابها الذي نحن بصدد عرضه) .

واستبان للباحثة خلال الدراسة الفنيه أن الأثر الاسلامي يكاد يكون معدوما فيما وصل إلينا من شعر أبي ذؤيب ، وأن خياله الشعري بدوى ينبع من واقع حياة البادية ومثلها وتقاليدها ومعارفها ، و يرتبط بالمظاهر المادية و يبرز الحركة واللون ، كما اشارت إلي أن الغرابة سمة عامة في خيال أبي ذؤيب .. فهو يجمع بين أمور تبدو نائية عن بعضها ، وحين وصلت إلي الحديث عن بناء القصيدة عند أبي ذؤيب تتبعت جميع قصائده وعدتها اثنتان وعشرون قصيدة وتلمست خصائص بنائها (انظر ص ١٤٠ وما بعدها) .

وفي الباب الخامس والاخير عرضت الباحثة لمواقف النقاد القدامى والمحدثين من شعره ، ومن القدامى ابن سلام الجمحى ، وابن قتيبه والاصمعي ، وثعلب ، وابن طباطبا والمرزبانى ، والآمدى ، وأبو هلال

العسكري ، والقاضي الجرجاني ، وأبو الفرج الاصفهاني ، ومواقفهم فى جملتها تدور حول استحسانهم لعينيته المشهورة في رثاء ابنائه ، وتخطئتهم له حين وصف الدرة والخيل ، ونقدهم لقوله :

عصاني أيها القلب ... البيت

واستحسان استعارته في بيته المشهور

واذا المنية انشبت اظفارها ... البيت

أما النقاد المحدثين فقد وقفت عند اثنين منهم وهما الدكتور/أحمد كمال زكي في كتابه «شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي» والاستاذ/عبد الله الطيب في كتابه «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» .

وقفت مع الدكتور أحمد كمال تناقشه في أمرين : الأول تعليله قلة المديح في شعر أبي ذؤيب ، والثاني تعليله للاطالة في قصائد الشاعر .

وهي مناقشة تحتاج إلى نظر كما سيأتي بيانه ، كما دخلت مع الاستاذ/عبد الله الطيب في مناقشة حول موقفه السلبي من عينية أبي ذؤيب .

والحق أن الباحثة قد بذلت جهدا واضحا ملموسا في ابراز المعالم والسمات الواضحة لحياة أبي ذؤيب وشعره ، ولا سيما إذا وضعنا في الاعتبار ما تميزبه شعره من غرابة الالفاظ وعورة المعاني أحيانا إلى درجة أن قارئ شعره يحتاج في كثير من الأحيان أن يكون إلى جواره شرح السكري لأشعار الهذليين أو أحد المعاجم اللغوية المعتبرة يرجع إليه كلما استغلقت عليه السبل في فهم الغاظه . مما يستوجب الثناء على الباحثة والاشاده بصبرها وجلدها في محاولتها لاستجلاء كوامن شعر أبي ذؤيب وعرضه وتحليله ، وما وصلت إليه من نتائج مفيدة في هذا المضمار بالقدر الذي أتيح لها ادراكه والوصول إليه ، على أن هناك بعض الملاحظات التي بدت لي خلال تجوالي السريع في هذه الدراسة الماتعة وهي كالتالي :ـــ

١ ـــ كان بودى لو أن الباحثة حذفت تلك المقدمة التي تحدثت فيها عن بيئة هذيل الجغرافية ، ولاسيا عن بعض مدن الحجاز التي لم يسكنها الهذليون فهوحديث لاطائل تحته ، وكان مفيدا لو أنها قصرت حديثها في ذلك بشئ من التركيز والعمق على المواطن التي استقرت فيها هذيل وعمرتها وأقامت فيها واتخذت منها ملاذا لها .

٢ ـــ ص ٣٣ في الحديث عن شعر هذيل ذكرت قصيدة أبي ذؤيب التى يندب فيها من ماتوا بسبب الطاعون في الشام ومصر .

وتعقب بقولها : «والقصيدة على طولها تخلو من الوقفة الفلسفية والتأمل في الحياة» ولا أدري كيف نطلب من الشاعر أن يكون في قصيدته شئ من الوقفة الفلسفية أو التأمل الفلسفي ، ونحن نعرف المحيط الذي عاش فيه الشاعر وظروفه الحضارية ، كما نعرف طبيعة الشعر العربي في تلك الفترة .

٣ ـــ ص ٥٦ في معرض الحديث عن مدي تأثره بالاسلام تقول :

«ربما كان ذلك مشيرا إلى أن الاسلام لم يستطع أن يغير من نظرة أبي ذؤيب» وهذا التعبير ليس دقيقا إذ من الأولى أن يقال «وربما كان ذلك مشيرا إلى أن أبا ذؤيب لم يستطع أن يتأثر بالأسلام .. » فليس من اللائق نسبة عدم الاستطاعة إلى الاسلام .

٤ ـــ أود أن أضيف أمرين على الخلاصة التي انتهت إليها الباحثة في الحديث عن غرض الوصف وهما

أ ـــ يلاحظ أن أبا ذؤيب يربط أحيانا في مشاهده الوصفية بين بعض العناصر المادية التي يصفها و بين بعض أحاسيسه فمثلا في وصفه للنحل والمشقار (انظر شرح أشعار الهذليين ٤٨/١) نراه وهو يصف النحل والمشقار يربط ذلك بحلاوة رضاب محبوبته .

ب ـــ أن أوصافه مستوحاة من محيطه و بيئته التي عاش في رحابها ، فلا تكاد تقرأ أبياتا في الوصف لأبي ذؤيب إلا وتحس أنه يتفاعل فيها مع بيئته ، و يعد لسانا ناطقا لما تعج به من مظاهر مختلفه حية وجامدة .

٥ ـــ ص ٨٨ تقول «وهكذا يبدو أن أبا ذؤيب لم يكن من شعراء الغزل رغم اقامته لعلاقات نسائية ، وذكره للمرأة في كثير من قصائده ، فما السبب في ذلك ؟ أكان قبيحا تصد النساء عن رؤيته ، ربما كان ذلك سببا في عزوف النساء عن رؤيته .» و يبدو لي أن هذا التعليل ليس بمقنع ، ولا طائل تحته إذ لم يثبت أن واحدة ممن تعلق بهن أبو ذؤيب هجرته لقبحه ، كما أن الحب الذى ينقدح في نفس الشاعر قد لا يؤثر عليه صدود المحبوبة ، ولو أن التعليل كان بما عرف عن أبى ذؤيب من كبرياء وترقب وتهيب في هذا الصدد كما هو الشأن فيما كان من أمره مع أم عمرو واسماء .

٦ ـــ لم أجد للباحثة حديثا عن الحكمة في شعر أبي ذؤيب مع أنها ترد في بعض أشعاره .

٧ ـــ ص ٦٧ في الحديث حول لغة الشاعر ما كان أغنى الباحثة عن ذلك السرد للشواهد التي أوردها علماء اللغة والأدب من شعر أبي ذؤيب ، و يكفي في ذلك الاشارة إلي العمل والمصادر التي اهتمت بايراد الشواهد من شعره لأن ذلك الصنيع لم يكن سوى مجرد سرد دون دراسة أو تحليل لهذه الشواهد وما اشتملت عليه من ظواهر لغوية ، وكان بودى لو أن الباحثة صنعت بدلا من ذلك قاموسا لغويا بالالفاظ التي جاءت في شعر أبي ذؤيب وأجرت عليها دراسة تحليلية موجزة .

٨ ـــ في الحديث عن نقد القدامى لأبي ذؤيب كنا نود أن نسمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توجيها فنيا أكثر لهذا النقد .

٩ ــ ص ١٦٠ في معرض الحديث عن موقف النقاد المحدثين ناقشت الباحثه الدكتور/أحمد كمال زكي في أمرين :

الأول : حول تعليله لقلة المديح في شعر أبي ذؤيب بقوله «فما أتركه هنا ما قاله في الفخر والغزل والهجاء معلنا في صراحة أن شاعرنا كان ارستقراطيا لا يمتدح أحدا لانه لم يكن بحاجة إلى أن يستجدي »وعلقت على ذلك ذاهبة إلي أن تعليل قلة المديح في شعره بكونه ارستقراطيا غير مقبول إذ لا نستطيع أن نثبت ذلك أو ننفيه ، وإنما قلة المديح في شعره يعود إلى كونه شاعرا شديد الكبرياء عظيم الأعتزاز بنفسه لا يحني هامته لأحد ولا يستجدي العطف ، فكيف يستجدي المال وإن كان في أمس الحاجه إلي ذلك .

أود القول أن هذا التعليل فيه نظر أيضا إذ أن المديح لا يعد دائما استجداء ، بل يصدر أحيانا لدى كثير من الشعراء عن قناعة بمكانة الممدوح وما يتمتع به من صفات وخلال حميدة تنطق الشاعر مهما كان شديد الكبرياء معتزا بنفسه .

والثاني : حول تعليله للاطالة في قصائد أبي ذؤيب بقوله «وحياة أبي ذؤيب هل هي أصل ذلك ، إنها حياة مستقرة مأمونة الجانب موفورة العيش وفيها كان الشاعر يستطيع أن ينصرف إلى نفسه وإلى لهوه فيفكر و يطيل التفكير فيما يقول اطالة يسمح بها وقته ».

وهى تناقش هذا القول وتذهب إلى خلافة كما يتضح في قولها «أما كون حياته تسودها الاستقرار فأمر لا يمكن التكهن به وليس لدينا دليل واضح على ذلك ، ولم تشر أخباره إلى أنه كان مستقرا ، فاذا استلهمنا الشعر وجدناه يؤكد غير ذلك ، فديوانه حافل بذكر الأماكن التي انتقل إليها» .

و يبدو لى أن الباحثة لم تتمعن قصد الدكتور/أحمد كمال زكي إذ يظهر أنه يعني الاستقرار النفسى للشاعر ، وليس الاستقرار المكاني كما تبادر إلى ذهنها بدليل ذكره للشعراء الصعاليك الذؤبان في معرض حديثه ، ذلك لأن هؤلاء الشعراء تعتمل في نفوسهم عوامل القلق والشر والخوف والحذر مما يفقدهم الاستقرار النفسي فضلا عن الاستقرار المكاني إذ من طبيعتهم الضرب في الفيافي والقفار ، وهذا ما جعل الدكتور أحمد كمال يذهب الى أن السرعة الفنيه التى لا تميل إلى التطويل أقوى لديهم .

الهوامش

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٠٢

(٢) طبقات فحول الشعراء (١٣٧/١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنظيم المكتبات

تأليف : ش . ر . رانجاناثان

عرض وتحليل : عبد الرحمن حمد العكرش *

تنظيم المكتبات . / ش . ر . رانجاناثان . ترجمة سماء زكي المحاسني .ــ الرياض : دار المريخ للنشر ، (١٩٧٨) ٢٢٤ ص .

مقدمة

انطلاقا من الوصية الرابعة لمؤلف الكتاب الذى سنعرض له في هذه العجالة والتي تدعو إلى المحافظة على وقت القارئ (١) ، أرى من المناسب عدم الدخول في شرح لأوليات تنظيم المكتبات ، بل سأقتصر

* ماجستير مكتبات من جامعة أورجون بالولايات المتحدة عام ١٩٧٨ م . محاضر بعمادة المكتبات بجامعة الرياض ورئيس قسم التصوير العلمي .

على استقراء سريع لبعض مواد الكتاب مع عدم اغفال كاتبه . وأود قبل ذلك أن أذكر أن الاتجاه لتعريب ونشر مثل هذا الكتاب في هذه الايام ، مع محاذير عدم رواجه ، يعتبر فى حد ذاته ظاهرة صحية قد لا تستحق ، في اعتقادى ، أقل من التقدير .

المؤلـــف

على مدى ثمان واربعين سنه ترك شيالي رامام ريتا رانجاناثان (١٨٩٢ ــ ١٩٧٢) بصماته واضحة على مسار علوم المكتبات والخدمة المكتبية ، ليس على مستوى الهند فقط بل على المستوى العالمي .

ورغما عن أنه لم يكن يتمنى أن يكون مكتبيا فقد قادته الظروف إلى ذلك حيث عين في سنة ١٩٢٤ مكتبيا لجامعة مدراس ولكن ليعود بعد تجربة قصيرة جدا و يطلب اعفاءه من هذه الوظيفة حيث أنه لن يتحمل على الدوام «ذلك الحبس الانفرادى» . وبعد أقل من سنة واحدة عاد إلى المكتبة ليطلع من خلالها على العالم و يطلع العالم عليه من خلالها وقد جعل من نشر الوعي المكتبي رسالة لم تنته إلا بنهايته ، وأعتقد أنه نجح في ذلك نجاحا كبيرا (٢) .

فاضافة إلى أكثر من ستين كتابا و ١٥٠٠ مقالة وضع الكثير من المواصفات والمقاييس وخطط التنمية لما يزيد على ٤٠ مكتبة جامعية وعامة ومتخصصة ورأس أو شارك في تحرير تسع مجلات متخصصة في علوم المكتبات ورأس أو شارك في عضوية ١٧ جمعية مكتبات في داخل الهند وخارجها . هذا بالاضافة الي عمله كمكتبي محترف وأستاذ في عدة كليات (٣) ، مثبتا بذلك خطأ النظرة الشائعة إلى علم المكتبات كعلم غربي (وعلى وجه التحديد امريكي) ، إذ لا يملك الباحث بعد استقصاء معظم ماشارك به رانجاناثان إلا أن يتأكد بأن لهذا العلم مظان أخرى غير ماتعارف الناس عليه .

الكتـــاب

يتحدث القسم الأول من كتاب تنظيم المكتبات The Organization of Libraries عن كيف يمكن أن تكون المكتبة وسيلة للتعليم وكيف تمول ، وكذلك عن بعض السبل التى ينبغي اتخاذها لجذب القراء وكيف تكون (بتشديد الواو) عادة التردد عليها . ولعل لخبرة المؤلف الطويلة في مجال التعليم أثرا كبيرا في نظرته إلى المكتبة كواحدة من ركائز التعليم الثلاث وهى المكتبة والطالب والمدرس.

أما القسم الثاني (وهو الذي استأثر بمعظم الكتاب) فيناقش الخبرة المكتبية والعمل المكتبي اضافة إلى نظام المكتبة الوطنية . كما يقدم مدخلا موطئا إلى تصنيف الـ (كولون) Colon Classification ومبادئ الفهرسة والخدمة المرجعية .

والقسم الثالث يبحث في أنواع عدة من المكتبات كالجامعية والعامة، وسبل التنسيق بين المكتبات وكذلك التشريع المكتبي .

وقد اعتمد المؤلف في دراسته للحالات والظواهر على تلك السائدة في الهند ، وهو شئ قل وجوده في مؤلفاته المتأخرة . وربما كان لرحلاته الكثيرة إلى اوروبا والولايات المتحدة وانتمائه إلى كثير من جمعيات المكتبات الاقليمية والدولية دور في ذلك .

والكتاب في مجمله يعطي فكرة مختصرة جدا ، وفي نفس الوقت مبسطة ، عن أفكار المؤلف حول المواضيع التى طرقها ، هذا مع استثناء حديثه عن تصنيف الكولون الذى توسع فيه وإن كان لم يوفيه حقه من الحديث ، وربما يعود ذلك إلى كونه قد طرقه في كتب أخرى من كتبه العديده مثل : Depth Classification, Library Classification, Colon Classification

وقد يكون هذا هو أيضا السبب في عدم الاهتمام بذكر هذا الكتاب في معظم المقالات والأدوات الببليوجرافية التي تناولت شخصية المؤلف وأعماله .

وأظن أنه قد يكون من المهم تذكير القارئ أن هذه الترجمة قد أعتمدت على الطبعة الثالثة للكتاب التى اصدرتها جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٣ . وقد سبقتها طبعتان : أولاهما في سنة ١٩٤٦ والثانية في ١٩٥٦ . وهذا يضيف إلى رصيد الكتاب قيمة تكمن في كونه يعكس التطور التاريخي لأفكار رانجاناثان حول المواضيع التى طرقها فيه . وكان من الطبيعي أن الاحصائيات التي وردت فيه إنما تمثل ما كان سائدا في ذلك التاريخ أو قبله بقليل . ومن نافلة القول التذكير بأن أشياء ومتغيرات عدة حدثت خلال السبعة عشر عاما التى تفصلنا الآن عن ذلك التاريخ . وحتى تصدر ترجمات لآخر ما كتب رانجاناثان تظل ترجمة السيدة سماء المحاسني ، رغم مافيها من تجاوزات قد تمس أحيانا صلب الفكرة ، النافذة الوحيدة التي يطل منها القارئ العربي على فكر رانجاناثان ، مع عدم استبعاد ما نشر عنه من أشتات في بعض الدوريات العربية المتخصصة كمجلة عالم المكتبات .

المصـــادر

١ـ S. R. Ronganathan, Five Laws of Library Science, 2nd ed., Asia Publishing House, Bombay, 1957 Sec. 4

٢ـ Encyclopedia of Library and Information Science,

٣ـ Vol. 25, Pp. 60 - 1.
Ibid, Pp. 75 - 85

حضارة العـــــرب

تأليف : غوستاف لوبون

حضارة العرب/غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر . ط ٣ . ـ بيروت : دار احياء التراث ، (١٣٩٩ هـ) ٧٨٤ ص .

عرض وتحليل : عبد الباسط بدر

نال هذا الكتاب شهرة واسعة وعده كثير من الباحثين شهادة تقدير وانصاف للحضارة العربية على لسان عالم كبير منصف وما زال الدرسون والمؤرخون يحتجون به و يسوقون شواهدهم من عباراته غير أنه ـ فى الحقيقة ـ يحمل ظلما كبيرا وخطأ شنيعا في عدد من مقولاته على نحو ما سنبين بعد قليل .

يبحث الكتاب تاريخ الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام ، ومنجزاتها الكبيرة ، وأثرها في تقدم الفكر الانساني ، وفضلها على الحضارة الغربية اللاحقة ، ويهتم بأسباب عظمتها ، والعيوب التي لحقتها وسبب انهيارها .

يضم الكتاب مقدمات للمترجم والمؤلف وستة أبواب يتألف كل منها من عدة فصول .

وفي الباب الأول «بلاد العرب» نتعرف في الفصل الأول على جغرافية بلاد العرب الطبيعية وتقسيماتها السياسية قديما وحديثا ، وهذه البلاد ـ كما يعرضها المؤلف ـ هي شبه الجزيرة العربية فقط . وفي الفصل الثاني نتعرف على الجغرافية البشرية فنقرأ عن منشأ العرب وأصولهم السامية وندرس خصائصهم من خلال مبدأ العرق الذى يؤمن به المؤلف ويجعله مقياس التميز بين الأمم ، وخلاصة هذا المبدأ أن العرق هو جماعة بشرية ذات أخلاق مشتركة تنتقل إليها بالوراثة المنتظمة ، وهذه الاخلاق ثابتة ثبات الصفات التشريعية ، ولكنها تتأثر ـ ببطء شديد ـ بعوامل البيئة المادية والمؤثرات الأدبية والتوالد ، ويمكن أن يضم العرق الواحد ألوانا متباينة فيجتمع فيه الاسود والأبيض طالما ضمتهم جماعة وظروف واحدة . وعلى هذا الأساس يرى أن العرب مجموعة بشرية منشؤها شبه الجزيرة العربية ، امتدت بعد ظهور الاسلام وانشأت حضارة متميزة في سورية ومصر وافريقيا والاندلس والصين ، وأن هذه الشعوب العربية تحمل فيما بينها اختلافات في الصفات الجسمانية ، واختلافات في بعض الطبائع بسبب البيئة البدوية أو الحضرية ، ولكنها تجتمع في روح واحدة وسجايا خلقية مشتركة . وفي الفصل الثالث نتعرف على واقع العرب قبل الاسلام ونرى أنه واقع حضارى وليس همجيا كما يتوهم

بعضهم ، ونقرأ اطرافا من امجاد الحضارة في اليمن و بعض أجزاء الجز يرة العربية ، وشيئا عن دياناتهم الوثنية واليهودية والنصرانية ، و بذور التوحيد في ثنايا تلك الديانات .

وفي الباب الثاني «مصادر قوة العرب» يعرض المؤلف ثلاثة مصادر انشأت الحضارة العربية الاسلامية وهي : شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم ، والفتوحات العربية . أما المصدر الأول فنقرأ فيه شيئا من نشأة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما عرف عن أخلاقه وحكمته وأسفاره إلى سور يه ، ويهتم المؤلف بهذه الاسفار ليبني عليها فيما بعد حكمه الخطأ بتأثره بالنصرانية واليهودية في بناء الاسلام ، ثم نقرأ صفحات قليلة عن الفترتين المكية والمدنية للأسلام ، وعن حياة محمد عليه السلام واخلاقه . والكاتب معجب باخلاقه وصفاته ،يرى فيها شواهد العبقرية، ولكنه يخطئ في تفسير حياته الزوجية ، و يقع في تناقض شديد حينا يجعلها نقطة ضعف في حياته ، و ينسبها إلى الشهوانية ، و يبنى عليها جملة من الأحكام المغلوطة . وأما المصدر الثاني : القرآن ، فنجد في دراسته تعريفا سريعا به ، يذكر كيفية جمعه ، والعوامل المشتركة بينه و بين التوراة والانجيل ، وفلسفته القائمة على التوحيد ، والصفات التى جعلته ينتشر بين الناس ، وأهمها : وضوحه ، وانتشار معاني العدل والاحسان فيه ، وقدرته على جمع القلوب وتأليفها وانشاء الامة المتماسكة ، وهنا يرد المؤلف على من زعم أن الاسلام انتشر بالسيف ، و يؤكد أن القرآن فتح صدور أمم كثيرة كالصينيين مثلا . وأما المصدر الثالث : الفتوح ، فنقرأ في دراسته له عن تطور الحرب في الاسلام ، والقيم الانسانية الكبيرة التى يقوم عليها الجهاد،وتسامح المسلمين ومعاملتهم الانسانية للشعوب المغلوبة، الأمر الذى جعل الفتوح تحول الأمم إلى الاسلام ، بل وجعل الأمم التى غلبت المسلمين فيما بعد ، كالمغول ، تعتنق الاسلام وتدعو إليه . وفي هذا الفصل نقرأ كلمات منصفة عن عدل المسلمين ورحمتهم .

وفي الباب الثالث «دولة العرب» يعرض المؤلف أحداث تأسيس هذه الدولة في مناطق سورية ، واستيعاب العرب المسلمين للحضارة الموجودة فيها ، وموقفهم المتسامح من أبنائها ، وتشجيعهم للزراعة والصناعة والتجارة ، والمعالم الحضارية الكبيرة التى أقاموها ، والتى ماتزال شواهدها ظاهرة في عدد من المساجد والمباني الباقية في القدس ودمشق والرملة وغيرها ، و ينتقل إلى الحضارة في بغداد أيام العباسيين ، و يصف مدى التقدم في شئون الدولة واداراتها ، وفي الزراعة والصناعة والتعليم ، و يتحدث عن تألق هذه الحضارة ثم انحدارها بسبب الدعة والترف الشديد ، و ينتقل إلى بلاد فارس والهند ليتحدث عن نهضة الحضارة الاسلامية فيها ، و يرى أنها عربية الصفات ولو أنها قامت على أيدى غير العرب ، ثم يتحدث عن العرب في مصر وامتزاجهم مع السكان بعد ضمها ، والتحول الحضارى الكبير الذى شهدته مصر آنئذ ، وجوانب التطور الكثيرة في الزراعة والصناعة والادارة والعمران ، ثم يتحدث عن العرب في افريقيا الشمالية منذ الفتح ، وامتزاج الفاتحين بالبربر واستقرارهم فيها ، ويهتم بذكر التقدم العمراني والآثار العمرانية فيها ، و يرى أنها دون الآثار الموجودة في مصر والاندلس . ثم يدرس العرب في اسبانيا منذ دخولهم إليها واختلاطهم بسكانها ، وانتاجهم الحضارى الضخم فيها إلى خروجهم منها ، و يعزو سبب خروجهم إلى ضعفهم السياسي وتحولهم إلى الحروب الداخلية ، و يعقد مقارنة طريفة بين وضع اسبانيا المزدهر تحت السيادة العربية ووضعها المنحط بعد خروجهم منها ، و يسهب في وصف مظاهر الحضارة العربية وتأثيرها في الحياة العامة والعمران ، ثم يدرس العرب في صقلية وايطاليا وفرنسا ، والحضارة القصيرة الأمد التى بنوها في هذه البلاد ، و يقرر حقيقة مهمة هي أن معركة بواتيه لم تهزم العرب من اوربا ولم توقف تقدمهم أو تطردهم ، بل كانت مجرد معركة صغيرة انهزم فيها العرب لانهم لم يقصدوا الفتح ، بل قصدوا الغنائم ، ولم يكونوا ليَقدموا و يقيموا لو أنهم انتصروا . ثم يتحدث عن الصراع بين النصرانية والاسلام في الحروب الصليبية ، و يصف بشاعتها ووحشية الصليبيين ، و يقارنها برحمة المسلمين وتسامحهم ، و يلوم الصليبيين ومن ينتصر لهم من المؤرخين ، و يرى أن هذه الحروب أفادت الاوربيين في مجالات الصناعة والفنون وجعلتهم ينقلون عن العرب أشياء كثيرة ، بينا لم تفدهم في العلوم والآداب .

وفي الباب الرابع «طبائع العرب ونظمهم» يدرس المؤلف الحياة الاجتماعية للعرب ، و يقسمهم إلي بدو ور يفيين وأهل مدن ، و يصف حياة كل فئة منهم وطبائعهم وأهم تقاليدهم ، و يعرض صورة لحياة أهل المدن كما رآها في سوريا ومصر وشمال افريقيا في الربع الأخير من القرن الماضي ، و يسهب الحديث عن الرق و يدافع عنه ، و يقرر أن كرامة الرقيق محفوظة عند العربي وأنه أحسن حالا بكثير من الخادم الاوروبي ، حتى أن بعض الرقيق يرفض التحرر ، و بعضهم يتزوج بنات ساداتهم . ثم يدرس نظم العرب السياسية والاجتماعية ، و يرى أن مصدرها الشريعة الاسلامية ، وهذه أخذت عددا من النظم العربية السابقة فعدلت بعضها وأبقت بعضها على حاله ، وأضافت نظما جديدة . و يتحدث عن الفقه الاسلامي وتشريعاته الاجتماعية ونظام الأرث ، و يعجب بحقوق المرأة في الميراث وهو مالم يكن موجودا في القانون الفرنسي ومعظم القوانين الاوروبية آنئذ ، كما يعجب ببساطة نظام القضاء الاسلامي وفاعليته ، ولكنه يتهمه بانه لا يحقق العدل احيانا . و يتحدث من بساطة النظام السياسي و يرى أنها سبب عظمة العرب وسبب انحطاطهم أيضا ، و يوهم أن القواعد التى قررها القرآن لم تعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلائم العرب بعد ذلك ، وأنها حالت دون تقدمهم ، و يتهم النظام السياسي الاسلامي بعدم المرونة لأنه يقول بجمع جميع السلطات في يد الخليفة ، وهذا غير صحيح قطعا . ثم يتحدث عن المرأة في الشرق . و يدافع عن تعدد الزوجات و يرى أنه افضل من نظام العشيقات السائد في اوروبا ، وأنه ملائم للبيئة الشرقية، كما يدافع عن وضع المرأة المسلمة، و يرى أن الاسلام أكرمها ورفع قدرها أكثر من جميع الشرائع الاخرى ، و يفند مزاعم بعض الغربيين عن «الحريم» ، والظلم الذى يتعرضن له ومدى فسادهن ، ثم يتحدث عن الدين والاخلاق عند المسلمين ، و يرى أن التدين أصيل وعميق فيهم ، و يعرف بالعبادات الاسلامية : الصلاة والصوم والحج ، و يضيف إليها ـ خطأ ـ اذكار الدراويش والصوفيين ، كما إنه يفصل بين الدين والاخلاق ، و يرى أن الدين الاسلامى ينص على أفضل الاخلاق ، ولكن التطبيق العملي للشعوب الاسلامية يرتبط بنظرية العرق فتختلف أخلاق الشعوب الاسلامية باختلاف عروقها وظروفها ، فالعرب في أدوار الاسلام الاولى أرقى من جميع أمم الارض ، ولكنهم بسبب سيادة الترك الطويلة انحطت أخلاقهم ، وأن القرآن برئ من هذا الانحطاط ، و يقرر أن أثر النبي محمد صلى الله عليه وسلم مازال قويا في نفوس المسلمين .

وفي الباب الخامس «حضارة العرب» يدرس معالم هذه الحضارة ، و يبدأ بالتعرف على مصادر معارف العرب ، ومدى استفادتهم من الحضارات السابقة ، ومناهجهم التجريبية الدقيقة ، و يقرر أنهم أول من أقاموا البحرية والرصد والبحث العلمى المنهجي ، و يعرف باللغة العربية وأثرها في لغات بعض الشعوب الأخرى ، و يتحدث عن الفلسفة العربية والأدب العربي والتاريخ والمؤرخين العرب ، و يدرس بشئ من التفصيل تطور كل من العلوم التالية في الحضارة العربية : علم الفلك والرياضيات والعلوم الجغرافية وعلوم الفيزياء والكيمياء والميكانيكا والعلوم الطبيعية والطبية ، و يشير إلى أشهر الكتب والكتاب فيها ، ثم يدرس الفنون العربية من خلال الآثار الباقية في الرسم والحفر والفنون الصناعية وصناعة النقود والنسيج والزجاج وغيرها . و يقف بشئ من التفصيل عند الفن المعمارى في البلاد الاسلامية المختلفة ، ثم يتحدث عن تجارة العرب الواسعة ، وصلاتهم بالعالم المعروف آنئذ ومهارتهم في الوصول إلي بقاع نائية،ويختم هذا الباب بدراسة تمدين العرب لأوروبا، وتأثيرهم في الشرق والغرب ، و يقرر أن شعوب اوروبا مدينة للعرب بالكثير ، فبواسطتهم عرفوا علوم اليونان ، ومنهم اقتبسوا معارف كثيرة ، وفي جامعاتهم تتلمذ رواد نهضتهم .

وفي الباب السادس : «انحطاط حضارة العرب» يبحث موضوعين مهمين:الأول حالة البلاد التى تراجعت فيها الحضارة العربية الاسلامية، و يعرض الانحطاط الكبير الذى تردت فيه اسبانيا بعد زوال الدولة الاسلامية ، كما يعرض لانحطاط الحضارة في مصر في عهد العثمانيين ، و يعزو السبب في ذلك إلى تخلف الأتراك وعجزهم عن تنمية الحضارة ، وتأخر أحوال الهند بعد الاحتلال البريطاني ، والموضوع الثاني هو أسباب عظمة العرب وانحطاطهم ، و يرى أن الظروف التاريخية ساعدت العرب المسلمين على التفوق العسكرى وفتح البلدان الكثيرة ، لان هذه البلدان في حالة ضعف شديد ، فضلا عن الصفات الخلقية للعرق العربى ، وهى الذكاء والحماسة والاستعداد الفنى والأدبي ، والصفات الحربية المثالية وهي : البطولة والتسامح ، أما أسباب انحطاطهم فهي في ظنه ترجع للنظم السياسية والاجتماعية لأن نظم القرآن التي كانت عنوان احتياجات العرب في زمن محمد لا تكون كذلك بعد قرون (ص ٧٣٣) وهذا خطأ آخر يقع فيه المؤلف . و يبين أن من أسباب الضعف احتواء هذه الحضارة لعروق كثيرة عاشت في وفاق تام أول الأمر ثم وقعت في الشقاق والخصام ، اضافة إلى ضعف العرق العربي بسبب اختلاطه مع العروق الأخرى ، ومن ثم ضعف الاخلاق التى بنت تلك الحضارة . بعد ذلك يهتم بتصنيف مقام العرب في التاريخ ، و يعتمد مقياسا للأفضلية بجعل قيمة الامة ومن ثم درجتها في سلم الحضارة تقاس بعدد من يظهر بينها من ذوى المدارك السامية ، و يقرر أن العرب ظهر فيهم رجال من الطراز العالى ، ولكنهم لم يخرجوا عباقرة عظماء ، و يقيسهم بالرومان في ذكائهم ، و يرى أنهم أفضل من الأمم الاوروبية التى عاصرتهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يتجاوزوا ما بلغوه .

وأخيرا يصف حالة الأسلام في أيامه ، و يعجب لانتشاره في أقطار الدنيا بسهولة كبيرة ، على الرغم من تأخر المسلمين ، و يسجل في خاتمة سطوره تفوق العرب على الأمم السابقة وفضلهم على اوروبا .

بعد ذلك نجد فهارس لمصادر المؤلف واعلامه وموضوعاته .

و بعد :

فالكتاب مهم وخطر . أما أهميته فتعود إلي أنه من أوائل الكتب التي كتبها المستشرقون في انصاف الحضارة العربية الاسلامية ، وقد درس صاحبه بعمق آثار تلك الحضارة ، وأعجب بها ، ودافع عنها في وجه أعدائها المغرضين ، وكتب عبارات تجعل العربى يشعر بنشوة كبيرة و يطرب لهذا الانصاف الكبير . وأما خطره فيكمن في نظرته المجحفة للعقيدة الاسلامية ، ونحن لا ننسى أن المؤلف ليس مسلما ولا متعاطفا مع الأسلام ، ولكنه في عرضه للعقيدة الاسلامية لم يتخل عن نصرانيته ، ولم ينظر إليها بموضوعية قط ، وسيجد القارئ المدقق في الكتاب عشرات كثيرة نكتفي بذكر بعضها :

أولا ـ أن الكاتب تأثر بالنظريات السائدة في عصره (١٨٨٤ م)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى رأسها النظرية العرقية ، فهو يتخذ هذه النظرية مقياسا للتمييز بين الأمم ، وعلى ضوئها يعرّب الاسلام، فالمسلمون عنده هم العرب وحدهم، وحضارة الاسلام حضارة عربية بناها عرب تأثروا بالاسلام ، وهذا خطأ فظيع ، فالاسلام شمولي عالمي ، وهو كيان يمنح أبناءه ــ على اختلاف شعوبهم ــ صفات مشتركة ، والذين بنوا حضارة الاسلام كانوا عربا وغير عرب ، وإذا طرحنا الجانب السياسي ولاسيما قضايا الخلافة الأموية والعباسية ونظرنا إلى منتجات الحضارة الأسلامية فسنجدها قد تمت على أيدي المسلمين من جميع الأقطار التي انتشر فيها الاسلام ، بل إن بعض العلوم كان ميدانا لابداع مسلمين غير عرب وشبه مقصور عليهم .

ثانيا ــ أن الكاتب في كثير من عباراته يعد الشريعة الاسلامية انتاجا بشريا أبدعته عقول ممتازة ، و يعد القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجعله دون كتب الهندوس الدينية ، كما في قوله في صفحة ٦٧٤ : «ليس في عامية القرآن ولا هوتيته الصبيانية (!) التي هي من صفات الاديان السامية ما يقاس بنظريات الهندوس» . و ينكر شمولية القرآن و يرى أنه مؤقت بعصره لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقه (صفحة ٦٨٠ ــ ٧٢٣) بل ويجعله سبب تخلف المسلمين فيما بعد .

ثالثا ــ أن الكاتب لم يحسن فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في عدد من جوانبها ، كما رأينا في فهمه المغلوط لحياته الزوجية وأثر ذلك على التشريع .

رابعا ــ موقفه من العثمانيين : فهو يصفهم بأحط الصفات و يسميهم دائما «الاتراك» على الرغم من أنه وضع كتابه قبل سيادة القومية التركية وأنصارها ، كما أنه يقيس أولهم بآخرهم ، وعلى الرغم من اهتمامه بالآثار العمرانية فانه لم يشر إلى التطور العمراني في العهد العثماني ، وهذا بالطبع من آثار النظرية الوقتية التي تسيطر عليهم .

إن أخطر ما في الكتاب هو مظهر الانصاف الذي يخدع به القارئ فالمؤلف معجب بنتائج الحضارة العربية «الاسلامية» ومنصف في تقدير آثارها على الغربيين ، ولكنه من جهة أخري يغمز العقيدة التي أفرزت هذه الحضارة ، و يتهمها بالنقص والعجز وعدم القدرة على مواكبة الزمن ولئن كان للمؤلف عذره في أنه لم يتشرب الايمان ولم يتعمق الاسلام ، أو أنه متأثر بأحوال المسلمين المتردية في زمنه ، فليس للمترجم ولا للناشرين عذر في عدم التصدي إلى الغمز واللمز والطعن ولو باشارة صغيرة في الهامش ، و بودى لو يهتم بهذا الكتاب دارسون سليمو العقيدة ذوو ثقافة اسلامية رفيعة ، ليشيروا للقارئ إلى زلل المؤلف ، و يضبطوا النصوص والوقائع الاسلامية ، ويخرّجوا الاحاديث النبوية المذكورة ، فبعضها غير سليم في متنه أو في صحته ، عندئذ نستفيد من مواطن الانصاف فيه ، ونحمي القارئ من عثرات المؤلف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب القادم ...

في سلسلة المكتبة الصغيرة

فيلســوف

من تأليف : محمد حسن فقي

يطلب من : دار ثقيف للنشر والتأليف

الطائف - الرياض

تهامة للتوزيع

سيرة شعرية

تأليف : غازى القصيبي

سيرة شعرية/غازى عبد الرحمن القصيبي . ـ الرياض : دار الفيصل، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ، ١٤١ ص

عرض وتحليل : خيرية إبراهيم السقاف

لا يكاد القارىء وهويفرغ من قراءة (سيرة شعرية) لغازى القصيبي إلا ويحس بأثر طيب قد استقر في عمقه عن صاحبه . ذلك أن لغازى القصيبى قوة خاصة ينفذ بها إلى عمق القارىء ،يستحوذ بها على اعجابه، وقد يكون من أهم عناصر هذه القوة تلك التجربة الانسانية الناضجة لدى الشاعر ، والجاهزة أمام قلمه ليبلورها بقدرة أدبية خاصة لتتعاطف وتندمج مع تجارب الآخرين من المتلقين حين يعرض لها في أسلوب رفيع قل أن يجتمع لواحد في نثره وشعره على حد سواء كما اجتمع على تمكن وموهبة لدى القصيبي ، وبذلك كان من السهل نشأة الألفة المباشرة فيما بينه وبين قارئه .

أقر ذلك وما من دافع شخصي يحدوني لقوله إلا ما كان من موضوعية محضة تمثلتها في مسيرة طويلة مع القلم . فلا يحسب القارئ أن لما للقصيبي من مركز اداري دورا فيما نقول ، فقبلا قد عرف الخاصة من القراء الفاحصين للقصيبي براعة فن ، وطلاقة قلم ، وطلاوة أسلوب ، ونضج تجربة ، وسعة معرفة ، وامكانية أداء فني مما من شأنه التماس تبرير مجرد لما استنتجناه من هذه السيرة الشعرية .

فالكتاب على حسب ما أراد له المؤلف أن يكون سيرة لمسيرة تجربته مع الشعر ، إلا أنه بطبيعة ارتباط الشاعر في وحدة انسانية اجتمعت له التجربة متكامله فخلص منها إلى عرض جوانب حياته الشخصية ، وركز على ما فيها من مواقف لعبت دورا بارزا في تكوين تجربته الشعرية الأمر الذي قرب بالكتاب لأن يندرج تحت السيرة الذاتية . إذ لا يخلو من الولوج داخل تجارب الحياة التى تمس نمو تجربته الشعرية مسا مباشرا أو غير مباشر ، مسا يتناول الجزء دون الكل أو يقف عند موقع التأثير . فكان إلى الترجمة الذاتية أقرب منه إلى التخصيص بالسيرة الشعرية . على الرغم من أن الكاتب عمد إلى تخصيص مسيرة الشعر بتفصيل فجاءت كوجه واضح من وجوه نشاطه الفكري دون بقية الأوجه التى لم يأت عليها بتفصيل .

والقارىء يمكنه أن يخلص من خلاله بأفكار الكاتب،بتنظيراته العامة، واحكامه الخاصة لكثير من مواقف الانسان من قضايا الحياة أو

• ماجستير في مناهج اللغة من جامعة ميسوري بالولايات المتحدة عام ١٩٧٦ م . محاضرة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الرياض ، وكيلة عمادة شئون الطلاب لشئون الطالبات .

قضايا الفكر، وباتجاهاته التي بثها من خلال عرضه لخطواته فوقفنا على مفتاح شخصيته منذ تجاربه الأولي في غربته مع الحياة وحتى بعد أن عبر (رحلة الألف ميل) نحو النضج والإدراك، إلى أن وصل إلى الشخصية الجاهزة التي برزت جلية قدراتها ووضح مستواها من خلال اسطر هذا الكتاب.

تميز الكتاب بشئ غير قليل من عناصر السيرة الذاتية الحديثة، من حيث الصراحة في عرض التجربة إلى توثيقها بالشهود عليها شهادة متفاعل بها ومعها، أخلص في تتبع نموها ومؤثراتها سلبية وايجابية دون التحيز للذات بالتركيز على مكامن الضوء فيها على الرغم من الثقة التامة الواضحة في شخصية الكاتب تجاه ذاته إلا أنه لم يخلط بين ما تعنيه الثقة وبين ما يؤديه الإفراط فيها، فلقد شهد على النفس ببواطن مؤثراتها ومدى تأثرها متفاعلة مع الحياة بكل حرمانها منذ فقد أمه، وبعطائها له في شكل تجارب غربة تنوعت واختلفت وتفاوت تأثيرها، وبحيثياتها المدركة باللمس والحس المباشر، وغير المدركة، الغائرة في الأعماق بفعل تضافر العوامل العامة ماكان منها مرتبط بالحياة العامة أو الخاصة أو العملية وفق مراحل التجربة الخاصة، وبشخوصها الذين مروا به ومر بهم فأدوا دورا لمس تجاربه الشخصية كأبيه، وأخوته (عادل) و (نبيل) وزوج أخيه (ملك) ونفر من أصدقائه (عبد الرحمن رفيع) وغيرهم.

وهو إلى جانب ذلك قد فتح المجال للقارىء ليدلي بحكمه بعد قراءته حكما غير متأثر بأي إيحاء فرضي من الكاتب نحوه، إلا ما كان من أمر القرار المبنى على عوامل داخلية بنيت على الألفة المباشرة بين الكاتب وقارئه. إذ أن الكاتب نقب وبعثر، واستخلص فعرض متجردا وممتزجا، متابعا ماغار في العمق (عمقه كفنان) حتى جعله (أمام القارىء) ملموسا وجليا على السطح.

وهو بذلك ساعد على تركيز الإهتمام بأهمية أن يتولى الإنسان الفنان — شاعرا — ناثرا، رساما — موسيقيا — ونحوهم مساعدة القارىء في الحصول على الحقائق بحسب ترتيبها الزمني متدرجة مع تجربته، ملقيا عليها الضوء عند محاولة دراسة انتاج هذا الفنان أو ذلك من أولئك المبرزين في مجال من المجالات الإبتكارية أو الإبداعية العطائية كمصدر معتمد موثوق لا يمكن أن يفيد بمثل ما يفيده عن نفسه أحد آخر. ولقد جاء القصيبي على شيء من هذا في مقدمة الكتاب نفسه.

وبذلك يعتبر هذا الكتاب أنموذجا جديدا في أدبنا المحلى، إذا ما اعتبر كما خصصه الكاتب لشعره كدراسة ذاتيه مركزه على وجة واحد من أوجه نشاطه الفكرى، تتبع فيها العوامل والمؤثرات، لامس فيها العمق وحلل الظاهر، بعث فيها المظلم لمواجهة النور، بث فيها الرأى مع طرح المعتقد، فصل فيها ما اختصره الفكر في رموز عند طرح التجربة بشكل شعرى، متجردا من ذاته دامجا هذه الذات بذوات الآخرين، مبلغا أن الشعر ظاهرة لأنه غاية بحد ذاته لا وسيلة إلى غاية، ولذلك فهو زائر لا يزار يأتي ولا يرغم على المجيء، لا يفرغ للإنسان متى فرغ الانسان له، وإنما هو الطيف الذى يأتي متى يشاء فيعم النفس البشرية ويهيئ الحس الإنسانى الراقى، وينبعث دون قسر ولا تقف أمامه الزحمة فتخنقه، كما لا يفسح له الهدوء دون سواه. هذا الزائر لا تحركه مناسبة بقدر مايستحضره إلهام غامض يجهل الشعراء كنهه كما يجهل الإنسان كنه نفسه.

فالشعر إذن عند الكاتب هو اللغز الذى يمثل العملية النفسية المعقدة المجهولة الأغوار، الصعبة على الإنسان ملامسة حقائقها، فلا عجب عند هذا أن يبكي الشاعر وهو يضحك أمام الناس، ولا عجب أن يعبر عن الحرمان وهو لا يعيشه.. إنها عوالم الجمال الخفي الذى يمثله الشعر كتجربة لا كمناسبة إذ أن زائرا هذا هو حاله لا تحدده المناسبات كما لا يخرج عن إطار التفاعل الإنسانى في قالب تجربةٍ على أية حال تكون وعند أى محتوى تتحدد. ومادام هذا هو حال الزائر فالمُزار — أى الشاعر — يرفض أن يكتب لمن يشاء منه أو يقول الشعر متى يريده الناس، أو يتناول قضية لا يتفاعل معها، إذا هو في هذا الإعتقاد يتوافق منطقيا مع حقيقة الشعر التي أوضح، إذ لا يملك من حيلة فيقود ما يجهل كنهه، ولا يدرى موعد حله وترحاله.

وهو بذلك يضرب عرض الحائط بكل من اتهمه بشئ من الذاتية أو ادعى عليه عدم الإلتزام أو نعته بالعبثية. وحجته أن الشعر لا يطيعه متى يشاؤون وكيفما يريدون وإنما هو الذى ينغمس في تأثيره الخفي حين يحل ولا يملك إقصاءه عن الرحيل متى قرر.

والشعر عند القصيبى لا يميز الشاعر عن غيره، فالشاعر انسان يحسن فقط أن يعبر بما لا يستطيعه آخرون، وفيما عداه فالشاعر انسان يمتح كغيره من معين واحد هو معين الحياة الإنسانية المتناقضة في عطائها المختلفة في شرابها المتجانسة في تجاربها.

لذا فأن يتعمد معرفة الشعراء لإحترافهم الشعر، هذا الذى لا يرضاه مَنْ عَلِمَ أن الشعر لا يخضع لتصنيفات تأسره عند فئة تعاطته من الناس. أو عند مسميات تعارف عليها النقاد فقالوا عن هذا من الشعر كلاسيكيا وذلك منه رومانسيا وذاك منه واقعيا فما الشعر عنده أمام هذه التصنيفات إلا مزيج منها معا يتمثله الشاعر الموهوب فيكون متى عبر بلسان أهله، وبكيفية يفهمونها، وبموسيقي ألفتها آذانهم واحاسيسهم ومتى تمتزج ذاته بكله في اندماج اجتماعى انساني يجمع بين قومه ونفسه وعامة الناس في كلٍ بشري لا ينفصل يكون كل هذه المسميات مجتمعة.

هذا الشاعر القصيبي يبدو من خلال آرائه في الشعر هو ذاته الخائض غماره:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زاره طائف الشعر وهو بعد لم يتخط الثانية عشرة ، في اجواء خاصة عكف فيها على النهل والاستزادة استشعر في نفسه ميلا غير عادى فالتهم القراءات المتنوعة واستظهر الشعر على صغر في السن ومحدودية في التجربة .. فأفرغه في بضع أبيات كانت هي المنطلق لموهبته . هذا الشاعر يأتى في سيرته الشعرية على إجابة كثير من التساؤلات التى قد تطرأ على القارئ : ماهى الحالة التى كانت عليها البيئة الخاصة على مسرح حياة الشاعر الشخصي والإجتماعي وكيف نمت العلاقة بينه وبين الشعر ؟ وهل واكبها نمو الشاعر فشمل جوه الخارجي والداخلى ؟ وهل كانت هناك روابط بين أجوائه الداخلية والخارجية ، وهل كانت رابطة طبيعية أم ذات عوامل مؤثرة وأى أنواع المؤثرات ؟ ولعل القارئ سيفاجأ باجابة ضافية لكل سؤال من مثل هذه يتبادر إليه بين ثنايا أسطر الكتاب ، إذ أن الاجابة جاءت سردا مسلسلا من خلال ترجمته للعوامل العامة التى ساعدت على نضجه العام من حيث : تجربته الخاصة وتجربته الفكرية ، وذلك من خلال مراحل حياته بشكل عام وبيئات دراسته ، وعوامل كثيرة ارتبطت بالبيئة الخاصة في الاسرة والعامة في المجتمع ومس ميدان الممارسة العملية بشئ من الأراء التعميمية .

كل هذه مجتمعة كمحاور حام حولها الكاتب مفصلاً بعضها ، عابراً على بعض الوقائع ، ماراً بأكثر الأحداث سريعا ، مركزاً على ما يثبته عند فكرة الكتاب . ويمكن أن يكون لهذه المحاور منطلق واحد هو ذاته منطلق سيرة القصيبي الشاعر ومنطلق تجربة القصيبي الإنسان ، ولهذا المنطلق مفتاح لا نعتقد أنه غير (الحزن) غير أن قارئ سيرة القصيبي الشعرية سيجد أنه قد أخذ من الحزن جانبه الإيجابي وتمكن من أن يفلت من سلبياته . وإن كان لتأثيره يد خفية امتدت إلى أغوار الشاعر وتفاعلت مع خفايا النفس وعادت فانعكست في عمق عطائه الشعرى .

فلقد اغترب الشاعر منذ طفولته غربة روحية حين أحس لأول مرة بفقد أمه احساسا غير ملموس ثم احساسا ملموسا مفضوحا . فسقط يومها القناع عن مكمن الفقد الحقيقي وبذرة الحزن الدفين .

من هنا بدأ الشاعر مع المعاناة الأولى في بداية الرحلة مع الصراع فارتبط فقد الأم بفقد الوطن الأول حين غادر إلى البحرين وهو في الخامسة ، ثم وهو يغادرها من جديد إلى القاهرة ثم وهو يغادر إلى مجتمع الإنفتاح الحضارى والظلمة الروحية امريكا ، فكانت مراحل صراع حضارى احتدمت في نفسه احتداما ماقدرت جدته سعاد ولا جزائر اللؤلؤ كأول صدر احتضنه بعد أمه الأولى ، وكأول أرض احتوته بعد رحيله الأول أن تمحوا مسحة الحرمان من تجربته الأولى وعلى مدى نضجه الفنى العام :

أنا ذلك الطفل الغرير رمته للدنيا الخطوب
تركته في صخب الجموع يكاد يخنقه النحيب
أبدا تمر به العيون تكاد تصرخ : ياغريب(١)

وفي قصيدة أخرى :

لو أننا نمـــــوت عندما نريد أن نموت
كنت لديـــــك في الـــــــتراب(٢)

فهو غريب كذلك يحس . وهو يودع البحرين بمشاعر الحب الجارف الذى يربطه بمنزل أسرته إنما يؤكد غربته عند رحيله باحساس البعيد عن صدر الحنان الأول فيتمنى الخلاص من هذه الدنيا هروبا إلى هذا الصدر الذى يرمز إليه صدر جدته عند رحيلها ، فما يجد غير أن يتمنى الدفن معها عله يلتقى بمن فقد تحت التراب .

في هذا الجو النفسي المشاع بالحزن ، عاش الشاعر طفولته وأغذ في مراحل صباه فشبابه متبلورا مع الحزن باعثا لمكامن الوعي الحقيقي في داخله عبر رحلة طويلة فقد فيها عزيزا وحرم فيها من غالٍ ، عارضه من عارضه ، وشجعه من شجعه ، نجح في ملء فراغه النفسي بزاد فكري ، وأخذ يساير الدوافع المختلقة مما كان من أثره الدواوين الشعرية الخمسة التى عرض لها الشاعر في سيرته .

وهي :

أشعار من جزائر اللؤلؤ
قطرات من ظمأ
معركة بلا راية
أبيات غزل
أنت الرياض

فالأول : يضم القصائد التى كتبت بين سنى الشاعر السابعة عشر والعشرين . لذلك فهو كما يقر الشاعر نفسه يمثل تجارب فتى مراهق اصطرع مع تجارب مجتمع منفتح في القاهرة ، جاءت قصائده صورة معبرة عن الفقد الذى عاناه الشاعر في مراحل حياته عامة .

والثاني : صورة كاملة لصراع الشرقي الذى خرج من العزلة إلى الانفتاح ، ومن جو الحفاظ إلى شكلية التحرر، ومن الدفء إلى الصقيع . بقلب ملئ بالكلوم ، وبعينين ما كانتا تريان غير صورة الداخل المجروح ، فكان أن ثار الشاعر لهذا الصراع وبدأ رحلته الصريحة في مواجهة النفس.

والثالث : كان مرحلة فاصلة بين أن يفتح الفتى المراهق عينيه على المرآة فيرى نفسه وهو أمام هيكل رجل قد اكتمل له من النضج ما يمكن به أن يتلمس تجاربه الواضحة في مسيرته مع الفكر والحس ، فكان الشاب الذى يتحسس الدمعة على خده قد تحول إلى رجل يستشعر الفكرة من مكمنها ويتعاطف مع تجارب أبعد عمقا وأكثر أثرا وأشمل امتدادا ، هذا الواحد غدا جماعة ، وهذه الذات المفردة غدت كلا انسانيا .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وهذه العبرة التى يزرفها لمعاناة شخصية غدت دماء تُنزف عند المعاناة الجماعية .

والرابع : تجربة مبتورة ، كسر فيها الشاعر سيقان قصائده ، و يوم قرأت الديوان كنت أول الذين لاموا الشاعر على نشره ، ارتفع صوت احتجاجي وخشيت أن يفسره القصيبي فيما لو سمعه على غير ما أر يد ، غير أنه يعترف أن (ابيات غزل) إقدام قد أخل بالوحدة العضو ية لقصائد جميلة . كان هدف الشاعر من اختيار أبيات منها تبر يرا لما كان من أجله قد احتفظ بها عن القارئ ، ولما كان يرى منها عدم صلاحيتها للنشر كاملة . غير أن النماذج التى نشرها منها متكاملة في الكتاب لا تقل بحال عن كثير من القصائد التى ضمتها دواو ينه الأخرى روعة وجمالا .

والخامس : هو عبارة عن ثمرة الاستقرار النفسي ، والامتداد الرأسي الضارب في عمق تجربة نضجت وأوتيت ثمارها . هو عبارة عن الحب الحقيقي لا حب الإنفعال الذائب مع وهج النور ، وهو عبارة عن الدفء في بردي الأمان وتلمس قدرات الذات ، واستشعار الثقة . وهو الإنعكاس لتجارب متنوعة ، فيها واجه الرجل صعاب الحياة ، تناقضها ، مخالبها ، دعتها ، رفاهيتها ، همومها ، أحس فيها الإنتماء فاحتضن الر ياض مكمن الإستقرار ورمز ملاذ الصرخة الأولى بعد أن تعب من التجوال الطو يل وصارع كثيرا من الأوجه المختلفة للأرض وللبشر وللتجارب ...

في هذا الديوان حط الرّحالُ زاده وزوادته ، وأخذ يغرف من معين الصدق والعمق والحنين المتجذر لبواعث الحزن الأول .

هنا يمكن أن نقول أنّ سيرة شعر ية للقصيبي ، والتى جاءت في ١٤١ صفحة من الحجم المتوسط بين تسعة فصول بدأها بالبداية فالمؤثرات الأولي فعرض للدواو ين الشعر ية الخاصة بالشاعر ، و بفصل نَظّر فيه مرثياته عن الشعر ، فاختتمه بنماذج من شعره عن كل ديوان إنما هي من أجود كتب الترجمة الذاتية لجانب من جوانب نشاط الشاعر الفنى .

مايمكن أن يلاحظ عليه هو أنه لم يتدرج في ذكر جوانب نموه وما جاء من تجاربه الشخصية وإنما أتي بها متناثرة بين فصول الكتاب كلما عنّ له منها شيئ عند فكرة أو رأى جاء على ذكره في أى مكان ، مما أعطى الكتاب صفة الشمول ولم ينظمه إلا التدرج الزمنى لنشر الدواو ين .

الهوامش

(١) سيرة شعرية ص : ١٢١
(٢) نفسه ص : ٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مفكــرو الاســـلام

تأليف : البارون كارادوفو
ترجمة : عادل زعيتر

عرض وتحليل : عبد الحليم عويس *

مفكرو الاسلام/البارون كارادفو ترجمة عادل زعيتر
بيروت : المنشورات العربية المتحدة

عنوان هذا الكتاب عنوان غر يب جدا بالنسبة لمضمون الكتاب لدرجة أنك لاتجد إلا أوهن سبب ير بط بين العنوان والمضمون .

وبما أننا لسنا في مجال النقد المنهجي للكتاب ، وإنما في مجال تقويم دوره كحلقة في سلسة الاستشراق ، فنحن نتخطّى بقية الأخطاء المنهجية والفنية ، وما دفعنا إلى ذكر هذا الخلط إلا بيان حقيقتين أساسيتين في صدر عرضنا لهذا الكتاب .

الأولى : أن عبارة (مفكرو الاسلام) عبارة خادعة ، تخالف المضمون

* دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة ، أستاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالر ياض .

الذى يتحدث فيما يتحدث عن (هولاكو - هادم الخلافة العباسية) و (تيمورلنك) و (أكبر) إمبراطور الهند الزنديق الذى أذل شعبه المسلم ، وجورجي زيدان (السورى المصرى القبطى) .. وغيرهم .

ــ فهل هؤلاء من مفكرى الاسلام ؟

ــ وكيف يوضع هؤلاء ونظائرهم تحت هذا العنوان الكريم ؟

ــ إنه المنهج الاستشراقي الذي يريد إلباس الأكاذيب ثوب الحقائق، ثم ــ بعد أن يلبسها ذلك ــ يقدمها وكأنها حقائق عادية لا غبار عليها.

الثانية : أن المادة التى يقدمها المؤلف تتركز إلى درجة كبيرة في الحديث عن عدد من المؤرخين العرب ، والمغول ، والترك ، والفرس .

ــ فلماذا لم يطلق على الكتاب اسم : (مؤرخو الاسلام) بدل مفكرو الاسلام ؟

ــ بل لماذا لم يوضع عنوان أوضح يمثل حقيقة المادة العلمية التى يضمها الكتاب بين دفتيه ؟ .

ــ الحق أننا لم نقف عند هذه النقطة المنهجية إلا لنكشف القناع عن تلك (المنهجية المزعومة) التى يحلو لبعضهم أن يلصقها بالمستشرقين ، وهم منها براء !! .

ومع ذلك - فان المقدمة الوجيزة جدا ، والتي لا تزيد عن صفحتين ونصف الصفحة ، والتى كتبها المؤلف (كارادڤو) لبيان خطته وهدفه من هذا البحث ... هذه المقدمة - ومع ذلك - هى من أصدق ما قرأته لمستشرق صريح مع نفسه ، ومع جمهوره الفرنسى .

إنه ــ بكل وضوح ــ يقول :إنه لم يكتب ما كتب خدمةً للعلم ، كلا، ولم يكتبه خدمة للعرب والمسلمين ، أعداء فرنسا ومحاربيها ، كلا .. فالرجل لا تصل به السذاجة إلى هذا الحدّ وإنما الرجل يعلن بكل صراحة أنه يكتب ما يكتب خدمة للاستراتيجية الفرنسية ، التى تسيطر على بلدان إسلامية فرنسية ، ويجب أن يكون الفكر ، والاستشراق ، كما نفهم من كلامه ، في خدمة هذه السياسة .

يقول (كارادڤو) معبرا عن هذه الحقيقة :

«يلتفت الجمهور الأكبر (أى الفرنسى والأوربى) إلى الشرق في الوقت الحاضر مقداراً فمقدارا ، وتصير عرى الصلات بين الأمم الأوربية وأمم الاسلام في ميادين القتال أيام الحرب الأخيرة أوثق مما كانت عليه شيئا فشيئا ..

والآن تملك فرنسة إمبراطورية إسلامية واسعة ، فيجب أن تكون تامة العرفان بالأمم التى تمارس سلطانها عليها أو نفوذها فيها ، ويجب أن تدرك روح هذه الأمم وماضيها وعقائدها وعمق غرائزها وما كان لها من مجد سابق» [ص ٧].

فمن أجل هذه الغاية كتب (كارادڤو) هذه الدراسة التى تقع في ثلاثمائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط .

ولسنا نزمع - في هذه الدراسة - إبراز كل نواحى القصور ، فذلك صعب في كتاب لمستشرق يكتبه لهدف حدَّده مسبقا .

وحسبنا أن نقدم بعض هذه النواحى التى نراها معبرة عن غيرها .

وأول ما يفجأنا من الناحية المنهجية مصادر البحث ، فهذه المصادر أجنبية ، وهذه خطة اختطها المستشرقون.فلاحقُهم يعتمد على سابقهم،وكأنه يأخذ عن حجة ، أما اللجوء إلى المصادر الأصلية للبحث، وهي المصادر الاسلامية المعتمدة ، فهذا أمر لا يعرفه المستشرقون . إنهم ينتقون مصادرهم انتقاء يخدم أغراضهم ، وحتى عندما يتحدثون عن العرب ، فهم لا يختارون إلا نصارى ، أما مفكرو الإسلام «المسلمون» فهم أقل من أن يؤخذ عنهم !!

وندلف الآن إلى تتبع الملاحظات العلمية ، مكتفين ببعض منها ــ كما ذكرنا ــ دلالة على فساد المنهج الاستشراقي .

ــ ففى الصفحة رقم (١٣) يصف المؤلف الخليفة العباسى المنصور بأنه (كان منجما) ، وهذا أمر لم يثبت ، ولا يليق بمسلم !!

ــ وفي الصفحة رقم (١٤) يدور المؤلف مع رواية غريبة تقول بأن المنصور استشار الرهبان النصارى في موقع بغداد .

ــ ويأتي في (ص ١٥) بخبر أقرب إلى الخيال يفيد أن (أم الرشيد) سمت الهادى (أخا الرشيد من أم غيرها) !!

ــ ويصور المؤلف الرشيد بتلك الصورة التى نسجها خيال كتاب ألف ليلة وليلة ، فهو أول خليفة لعب بالشطرنج والنرد ، وشجع ألعاب الصولجان والكرة ورمي النشاب إلى آخره (ص ١٩) .

ــ بل إن (كارادفو) لم يتورع عن الاعتراف بأنه يقتبس تصويره لهارون الرشيد من (ألف ليلة وليلة) التى هى مجموعة أساطير للتسلية (ص ١٥) بل إنه ليكابر ويقول بأن في روايات ألف ليلة وليلة (الطابع تاريخى) ، ولنا أن نتوقع أن يحشد المؤلف الأكاذيب حشدا مادامت هذه هي نوعية مصادره ، فهو يرى أن مسروراً سياف الرشيد كان عمله ــ كما تقول ألف ليلة وليلة ــ أن يقطع الناس إربا لأقل هفوة (!!) ، وهو يرى أن البرامكة قد نكبهم الرشيد ظلما ، وعدوانا ، وربما لأن هناك زواجا اسميا قد تمَّ بين أخت الخليفة (العباسة) وبين جعفر البرمكى . !!

ونحن لسنا في مقام تفنيد هذه الأكاذيب ، فهي متداعية من تلقاء نفسها ، وحسبنا أن نحيل القارئ على رسالة الدكتوراه التى قدمها الدكتور (على العمرو) حول أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول (الصفحات من ٢٦٨ إلى ٣٠٤ الطبعة الأولي ١٣٩٩) .

ــ وفي صفحة (٢٤) يورد المؤلف نصًا ينسبه إلى المسعودى يفيد : أن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخليفة المأمون قلد عادات ملوك الفرس الساسانيين وهو نص يعترف المترجم بأنه غير موجود في كتابي المسعودى المعروفين : التنبيه والإشراف ومروج الذهب . وهو سلوك يدل على مدى الكذب الذى يستبيحه المستشرقون لأنفسهم ، كما أنه يكشف ضحالة مناهج هؤلاء . !!

وعندما يتحدث المؤلف عن (صلاح الدين الأيوبى) يصوره نفعيا مرائيا يتظاهر بأنه سنى غيور ، وأنه امتنع عن شرب الخمر وتكلف سبيل التقشف(وهو أسلوب يفيد بأن صلاح الدين كان شارب خمر وامتنع) عنه (ص ٢٩) .

ثم يتجرأ المؤلف فيزعم أن صلاح الدين اتهمه بعض المؤرخين بقتل آخر خليفة فاطمى في مصر (ص ١٩) .

وهكذا يجمع المؤلف كل الأقاويل الضعيفة ، والمبتذلة ، ليقدمها في حلقات مترابطة ، لكى تبدو وكأنها سلسلة تاريخنا .

وفي (ص ٣٨) يزعم أن الخليفة العباسي أيام هولاكو كان قد أهدر دم الشيعة وأباح للسنية نهب ممتلكاتهم . و يزعم - أيضاً - أن هولاكو (كان رءوفا)،وأنه كان محبا للعلوم،وأنه كان يميل إلى(النصرانية)!!.

وتقيأ (كارادڤو) النصرانى حقداً على (محمد الفاتح) — فاتح القسطنطينية — فيصفه بأنه كان «متقلب الخلق عنيفاً جافيا» وأنه كان «ينقض الوعود» وأنه «لم يعتن بحفظ المكتبات فأحرق معظمها» (ص ٤٧) .

و بينما يغمز المؤلف (محمد الفاتح) على النحو الذى ذكرناه — نراه يقدم بكل جرأة واحدة من أكبر أكاذيبه وتناقضاته ، فيصف (أكْبر) عاهل الهند الذى خان الاسلام و باع نفسه للهنادكة وكان و بالاً على شعبه بأنه (أعظم عاهلى المغول فخرا) لأنه حاول صهر ديانات دولته وشعوبها في دين واحد ، أي يجمع المسلمين والهندوس والشيعة والسنية والراجيوت والأفغان (ص ٧٢) ولنلاحظ هنا تعبير المؤلف عن المسلمين وكأنهم أصحاب أديان ثلاثة : دين يسمي الاسلام ، ودين يسمى الشيعة ودين يسمي السنية !! - و بعد ذلك لنقرأ أى كتاب في تاريخ الهند الاسلامية لنعرف البلاء الذي جره (أكْبر) على الهند بحمقه وجهله .

وكما مدح (كارادڤو) هولاكو ، وأكبر ، وتيمورلنك ، وذَمَّ (صلاح الدين) و (محمد الفاتح) ذهب أيضا إلى مدح الشاه (عباس الكبير) الذى حكم إيران في النصف الأول للقرن السابع عشر الميلادى ، وكان تابعاً ذليلا لأوربا ، وحارب الأتراك المسلمين . كما مدح أيضاً (طهما سب قلى خان) المعروف باسم نادر شاه ، والذى حكم في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وكان باطنياً موغلا في الولاء للنصارى والمحاربة للمسلمين،وكما يقول (كارادڤو) في مجال مدحه(ص ٨٣ ، ٨٤)..إنه ! «نصب أمراء من الكرج كانوا نصارى ، وأباح للمبشرين أن يقوموا بالدعوة إلي دينهم جهرا ، و بتعميد من يريد ذلك ، .. وأخيراً أجاز بيع الخمر علنا ، وشجع على زراعة الكرمة على غرار الشاه عباس» .

ولهذا استحق هؤلاء المدح من العلامة المستشرق (كارادڤو) !! .

وكما قلت فى صدر حديثى عن (صراحة) كارادڤو في أهدافه الاستشراقية المسبقة — فان (كاردوڤو) يضيف إلي صراحته تلك (صراحة) أخرى حول المؤرخين العرب والمسلمين المعتمدين لديهم .. إنه يصرح فى ص (٨٧) بأن مؤرخى الشرق الاسلامى لا يتمتعون بالشهرة في الغرب ، والمؤرخون الذين عرفوا في الغرب ليسوا مسلمين ، إن المؤرخين المعروفين لديهم هم«جرجس بن العميد الملقب بالمكين ت ١٢٧٣م والشماسى القبطى بطرس الراهب ، و بطرك الاسكندرية المشهور (يوتيخوس) ، واليعقوبي ابن العبرى » ..

أما عشرات المؤرخين الموثقين المسلمين بدءاً من مؤرخى السيرة والمغازى ، ومروراً بالطبرى وابن الأثير وحتى المقريزى وابن كثير وابن خلدون ، وغيرهم فهم غير معروفين في الغرب .

ولهذا — فان (كارادوڤو) نفسه لم يقدم من بين مؤرخي الشرق الاسلامي المعاصرين إلا (جورجى زيدان) ذلك المعول الهدام في تاريخنا، والذي ثبت ولاؤه المطلق للمحافل الماسونية ، وللتوجيهات الاستشراقية، والذي قام بتحريفات فاحشة في تاريخنا في تلك السلسلة التي سماها (روايات تاريخ الاسلام) !! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحق أن كل ما كتبه المؤلف من مدح لجورجي زيدان يؤكد المنهج الذى أشرنا إليه سابقا ، وهو المنهج الذى يمدح المفسدين (كهولاكو وأكبر)و يذم المصلحين كصلاح الدين ومحد الفاتح .

لكننا لا نغفل هنا لمحة للمؤلف تضم إلى لمحاته الصريحة السابقة ، وهي لمحة تؤكد رأينا في جورجي زيدان - إنه يأسف لموت (زيدان) و يشير إلى أن المستشرقين فقدوه منذ زمن قليل ، فكأنه يعتبره — وهو عربي — مستشرقاً ، وهذا ما نميل إليه !! .

و يضاف إلى هذا السيل من الأخطاء المتعمدة التى تعكس منهجا استشراقيا منحرفاً — ذهاب المؤلف إلى مدح ملوك الطوائف ، والمعتمد ابن عباد ، وأصناف الطرب التى كانت في أشبيلية — وعندما يصل المؤلف إلى الحديث عن سقوط غرناطه ، وعن شروط الاستسلام التى عقدت سنة ٨٩٧ هـ ، وهي سبعة وستون شرطا لم ينفذ منها شرط واحد مع أن (بابا روما) ضمنها وصادق على التزام الملكين الآثمين : فردنياند وايزبيلا .. بتنفيذ بنودها ..

وعندما يصل المؤلف إلى هذه النقطة يكتفي بتعليق تافه خبيث ، يقول فيه :

« وتعد معاهدة تسليم غرناطة هذه عنوان الاعتدال والكرم ، ومن

أروع وثائق تاريخ الفتوح » !! (ص ١٦٢) .

نعم إنها كذلك على الورق فقط .. فماذا بعد ؟ .

ــ إنه يتابع فيقول :

«وكل يعلم أنه عقب ذلك بعد أعوام قليلة ؛ ظهر موج من التعصب لم يحترم معه الاسلام ، ولا آثاره الثقافية» .

ــ وبمثل هذا الأسلوب الغث يكون تعليق المؤلف على واحدة من أكبر الجرائم في تاريخ الحضارة البشرية ، وهي محاكم التفتيش ، والغدر الكامل بكل شروط معاهدة التسليم ، وهو غدر يمثل صفحة من أسوأ صفحات الغدر ــ وهي كثيرة ــ في التاريخ المسيحى . !! .

وحسبنا هذه الملاحظات على هذا الكتاب الحافل بالمآخذ والثلمات .. وهو أمر متوقع من مستشرق فرنسي يسعى لتثبيت دعائم فرنسا في بلاد الاسلام ــ كما يقول ــ أما المترجم (عادل زعيتر) الذى لم يكلف نفسه عناء كتابة أى تعليق ، فإننا نحمله ونحمل أمثاله من المترجمين مسئولية ترويج هذا الفكر المزيف ، بترجمته تارة ، و بصمتهم الذى يتضمن إقرارهم تارة أخرى !! .

المملكة العربية السعودية : نظرة فنانة للماضي

تأليف : صفية بن زقـــر

Saudi Arabia : An Artist's View of the Past / Safeya Binzagr, Three Continents Publishers, 1979 - 1396.

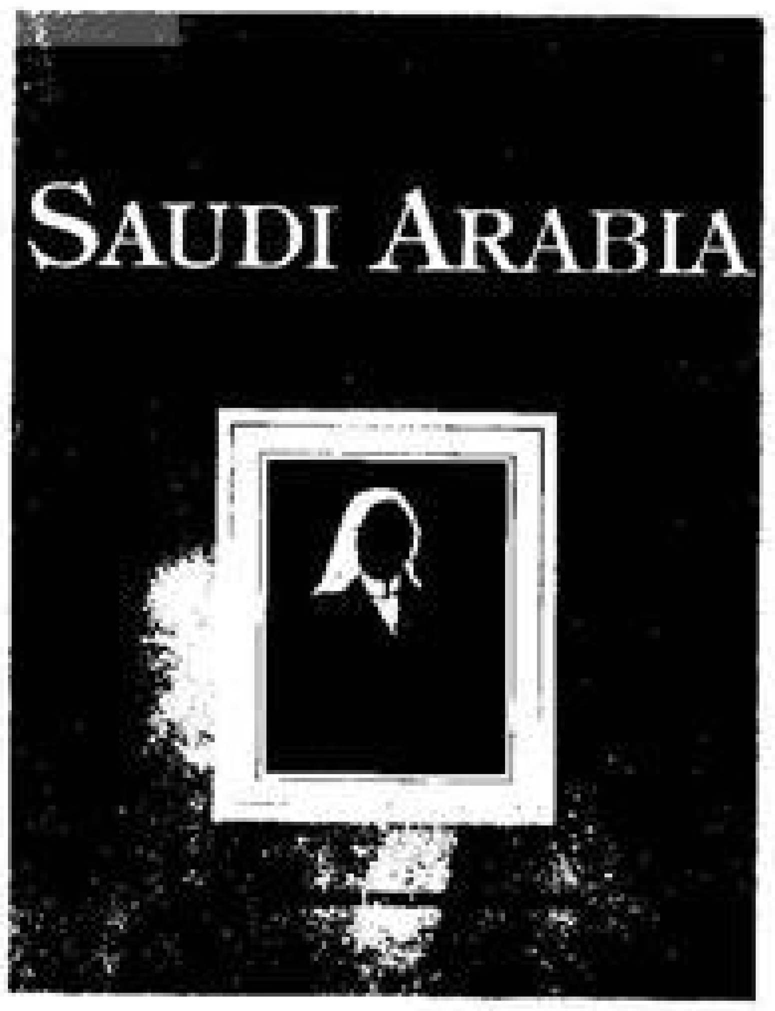

عرض وتحليل : ثروت حسين روحى *

شهد الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقة تقدميه ملموسه ، حيث نهض نهضة لحتمية تاريخية حيث المجتمع يغير من شكله استعدادا لخوض غمار عصر جديد .

وكذلك النظم الاقتصادية تغيرت فتغير بالتالى ايقاع الحياة واختلف وأخذت النهضة العلمية تتسع وتنتشر .

ومن الملاحظ أنه في فترات التحول ، والانتقال من عصر إلي آخر حيث تتغير القيم القديمة وعدم وضوح القيم الجديدة ، يبدأ الانسان في البحث عن نفسه ، و يلائمها مع الشكل الجديد للحياة ، و يفجر اشكالا ومناهج ورؤى جديدة ، و يفتح آفاقا كانت مجهولة من قبل . والفن كجزء أساسي وملتحم بالنسيج الحضارى للبشرية ، يعكس هذه الخواص ، و يدخل في علاقة متبادله معها ، أى أنه يتأثر و يؤثر مرددا الصدى المميز للعصر كله .

وإن كانت المنطقة العربية قد تأثرت بالاتجاهات الفنية الأوروبية شأنها في ذلك شأن معظم شعوب العالم ، حيث انبهر الفنانون فيها بالمدارس الحديثة ، واصطبغت أعمالهم ، وتأثرت إلى حد كبير بما

* دكتوراه في التصميم والتصوير من جامعة لندن عام ١٩٤٩ م .
أستاذة ورئيسة قسم الرسم والتذوق الفني بجامعة حلوان في جمهورية مصر العربية .

استحدث من مذاهب واتجاهات فنية متباينة ، إلا أنه من الملاحظ على معظم الفنانين السعوديين محاولة التخلص من التأثير الاوروبي ، لتأصيل فنونهم العربية وتأكيد شخصياتهم،سعيا وراء ايجاد أسلوب عربي متميز.

وعندما يذكر الفن المعاصر السعودي ينبغي ان نذكر الفنانة صفية بن زقر وهي فنانة مارست الفن في مجالات التصوير والحفر والرسم ، وهي دون شك تسهم في تكوين الملامح المحلية للفنون السعودية .

إن فنها بوجه عام وليد البيئة السعودية،وانعكاس صادق لها ، وتجسيد لبعض مظاهر الحياة فيها ، فهي عندما تصوغ لوحاتها ، فانما تتخذ من تلك البيئة ومن عاداتها وتقاليدها العريقة مصدرا للألهام ، معتمدة في تكويناتها على وحدات واشكال محلية تتسم بالروح الشعبية الاصيلة .

وهي عند معالجتها لها تخضع للرؤية الفنية الاكاديمية ، فتقدمها للمشاهد بشكلها الواقعي المألوف ــ ولا يعني ذلك العوده إلى التقاليد الفنية القديمة وتقليدها أو تكرارها ــ مستخدمة نمط شعبي يميل إلى الفطرة، وقد يجعل هذا فنها يقترب من الجماهير ، ويخاطب كل الناس ، بعكس ما يحدث لبعض الاتجاهات الفنيه المعاصرة ، والتي قد تبدو عسيرة الفهم أحيانا عند الكثير من المشاهدين .

وتزخر غالبية الاعمال الفنية عندها بالعناصر الادميه والحيوانات والأدوات وتؤكد الفنانه مهارتها في التوليف بين هذه العناصر في صيغ تشكيلية جيده وأعمالها أيضا تتسم بالطابع الزخرفي والذي يتمثل في استعمال الخطوط الدقيقة والرسوم المتكررة والألوان الزاهية النقية وكذلك في أسلوب توزيع العناصر والاشغال المختلفة داخل اللوحه .

وفي مجال الفنون التشكيلية تنتمى الفنانة صفية بن زقر إلى الفن الشعبي الفطرى .

إن التصوير الفطرى يرتبط بالحياة وبمشكلاتها ارتباطا وثيقا .. وإذا كان الفن الحديث يمثل قيمة الاتجاه العقلاني فى الفن .. فان الفن الفطري يمثل استمرارا لاتجاه يعبر في طلاقة وتدفق عن المشاعر الانسانية التى تكاد أن تتلاشى في عصرنا الحالي والتي نحن في حاجة إليها .

يضم الكتاب مجموعة كبيرة من أعمال الفنانة التشكيلية (صفية بن زقر) تمثل مختارات من انتاجها الفني في مراحل مختلفة خلال المدة من عام ١٩٦٨ م وحتي عام ١٩٧٨ م في مجالات الرسم والحفر والتصوير .

والفنانة صفية بن زقر لها دور لا ينكر في دعم الحركة التشكيلية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، فهي أول فنانه تقيم معرضا خاصا مع زميلتها الفنانة/منيرة موصلي في مكة المكرمة عام ١٩٦٨ م افتتحه الامير مشعل بن عبد العزيز آل سعود أمير مكه المكرمة في تلك الفترة

وعندما نستعرض أعمالها المعروضة في الكتاب ، نجد أنها بدأت واستمرت طيلة العشر سنوات ، مرتبطة في انتاجها بالمذهب الواقعي ، ربما استمرارا لطبيعة دراستها في مجال الفن ــ وقد سادت التشخيصيه معظم أعمالها بجانب بعض التكوينات الصامته (١) وقد استمدت الفنانة التعبير في أعمالها من واقع رؤيتها الخاصه ، ومعرفتها للمظاهر البيئية المختلفة وأوجه النشاط البشري فيها ، بالرغم من أنها لم تتخط المنهج الكلاسيكي من مرحلة الي أخرى ونورد المثالين التاليين كدليل على هذا الانتقال :

أ ــ بمقارنة عملها «الربابة» عام ١٩٧٦ م ص ١٢٧ حيث وضعت الألوان بجرأة وحرية وبساطة وتحررت من اظهار التفاصيل الدقيقة ، مع تأثيرات لونيه متداخلة ــ ففي فروع النخل مثلا نجد اللون الاخضر والازرق والاصفر والبني وبدرجات مختلفة ــ مما ساعد العمل الفني في الظهور كوحدة مترابطة .

ب ــ وعملها (النصبة) عام ١٩٧٦ م أيضا ص ٤١ حيث وضعت كل لون قائم بذاته وبشكل صريح ، ويتدرج اللون من داخل نفسه ولا ينعكس على الألوان من حوله ، وتحديد الظلال في الملابس والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة والرسوم الزخرفية .

والحقيقة أنه يصعب علينا أن نفصل بين مراحل نموها وتطورها من حيث مميزاتها الفنية أو طبيعتها التشكيلية كما يصعب علينا أيضا أن نحدد كل مرحلة منها تحديدا دقيقا من الوجهة الزمنية لأن تلك المراحل كانت جميعها متقاربة زمنيا ومتداخلة أكثر من كونها متباينة فهى لم تنتقل من مرحلة إلى أخرى انتقالا فجائيا نتيجة لتأثرها بنزعة فنية معينة أو بهدف الجرى وراء التجديد . لقد ظهر التطور في أعمالها نتيجة لطبيعتها الشخصية كفنانة جادة . ولذلك فليس غريبا أن نجد غالبية أعمالها في المراحل المختلفة تفصح بوضوح عن معالم شخصيتها الفنية المميزة .

وقد اهتمت الفنانة بالتراث الشعبي والاسلامي للمملكة العربية السعودية وكان لهذا الاهتمام آثار واضحة انعكست على فنها ، فمن وحي التراث استلهمت أعمالها الفنية المختلفة وقد احتل التعبير عن العادات والتقاليد في أعمالها مكانا بارزا ، حيث قدمت موضوعات (الزواج - والحنة - ولبس الخلخال - النصبة - المحمل - الازياء المحلية - العمارة القديمة الحياة اليومية ...) بحلول تشكيلية مختلفة ، تفيض احساسا بجوهر الفن الشعبى وأصالته ، والحقيقة أن لوحاتها تحمل قيما تشكيلية وقيما تعبيرية وقيما رمزية ، فالاجسام الممشوقة للاشخاص ، ووقفاتهم الثابتة المؤكدة ، ونظراتهم المتطلعة ، وهذه الزخارف المنتشرة في اللوحات على السجاد والملابس والأقمشة وغيرها ، والألوان الصريحه التى تسود الشكل ، كل ذلك يحمل اشارات رمزية معبرة عن عظمة المسلم وكرامته واحترامه وتقديره .

نال الانسان جانبا واضحا من اهتمام الفنانين التشكيليين منذ زمن

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعيد ، واستجد هذا الاهتمام بشكل بارز حتى في الفنون الحديثة والمعاصرة (٢) رغم اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها . بل إننا نكون على حق حينا نؤكد أنه لا يكاد يوجد من بين الفنانين التشكيليين من اغفل التعبير عن الانسان أو ابتعد عن تناوله بشكل أو بآخر في أعماله الفنية فعلى سبيل المثال كلنا يذكر الانسان في أعمال الفنانين أصحاب المدرسة الكلاسيكية أمثال (ليوناردو دافنشي ومايكل انجلو ورافايللو و بنتشلي وآنجر وغيرهم) ومن اصحاب مدرسة الفن الحديث والمدرسة التأثيرية أمثال (تولوز لوترك ورنوار وجوجان ومايتسي وموديلياني) ومن اصحاب المدرسة التجريدية باتجاهاتها المختلفة ـ التكعيبيه أو المستقبلية أو الرمزية أو السريالية ـ أمثال (بيكاسوا ومارسيل دوشامب وهنرى مور وميرو و بول كلى وسلفادور دالى وغيرهم) ولقد اتخذ التعبير عن الانسان في الفن اشكالا يصعب تناولها بالحصر أو التصنيف كذلك فقد كانت تلك الاشكال وماتزال حتى الآن ـ تشير إلى مابين أعمال الفنانين من تباين سواء في الاتجاهات الفنية أوفي الاساليب التعبيرية أوفي المعالجة اللونية أوفي البناء التشكيلي .

و يعرض الكتاب أعمالا فنية تتناول التعبير عن عنصر الانسان في بناء تشكيلي من زاوية خاصة تساير المفهوم الواقعي وتعكس فلسفته الجمالية ، والتي تعتمد على تأكيد التفاصيل الدقيقة ، واظهار الملامح البشرية المختلفة ، وذلك ليس بهدف المحاولة للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المطابقة في عملها الفنى والحقيقة المرئية ، ولكن متجهة نحو البحث في جوهر الشكل وتأكيد مضمونه في علاقات تنظيمية تشكيلية بهدف تحقيق القصد التعبيرى للموضوع مؤكدة بذلك انتمائها للفن الشعبي والفنان الفطري .

الرسم هو التعبير الخطى عن الأشياء باستخدام أى أداة خطية وقد يكون الرسم تخطيطا كروكيا سريعا لتسجيل بعض الملاحظات أو الانطباعات عن شئ ما في لحظة معينة كنوع من التعبير الذاتى ، وأحيانا يكون الرسم دراسة وتحضير لعمل فني على مستوى أكبر حجما ، ولكنه في أحيان كثيرة يكون عملا فنيا قائما بذاته ، حيث يتخذ الفنان من امكانيات الخط المتعددة وابعاده المختلفة وسيلة لتحقيق الكثير من القيم الفنية والوظيفية التى تحقق للرسم كماله وتجعله لا يقل شأنا عن الاعمال التصويرية من حيث الاهمية أو القيمة .

والفنانة صفية بن زقر تعرض في كتابها عدداً من اللوحات التى ظهر فيها الرسم كعنصر هام في بناء العمل الفني ـ فاذا ما تأملنا لوحاتها الراعى النائم ـ المقابلة ـ الموعد ص ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ والتي تتناول فيها التعبير بالرسم عن بعض جوانب الحياة الشعبية السعودية ـ فان أول مايلفت النظر فيها هو أسلوبها في استخدامها لعنصر الخط إن الخطوط قليلة هنا محسوبة ، وليست مجرد وسيلة لتعريف الاشكال وتحديد هيكلها البنائى فحسب ، بل إنها خرجت عن هذا النطاق الوظيفي المحدود إلى مجال أوسع وأشمل لتؤدى بعدا تعبيريا أكثر قيمة وأجل شأنا . فعندما تناولت التعبير عن الانسان في موقف انساني عاطفي نجدها قد تخيرت من أنواع الخطوط المختلفة ما يلائم فيها للتعبير عن الموضوع ككل ، حيث تجنبت صلابة الخطوط المستقيمة وقصرت تشكيلها على الخطوط اللينة ، لما توحى به من رقة ووداعة وهدوء ،وتلمس انسياب الخطوط في بساطة، وتواصل الخطوط الناعمة التكوين الظلال بدقة ، فعنصر الخط هنا استخدم استخداما معبرا يفيض شاعرية ورقة وجمالا . بينا تأخذ خطوطها المستقيمة الهندسية المتراصة بدقة وتعبير ، شكل الصلابة والتحدى في رسمها لتلك المشربيات الخشبية المطلة من البيوت العريقة في جدة وكأنها تقول أنا هنا منذ مئات السنين وسأظل ثابتة وقائمة مئات أخرى اتحدى بجمالي وتكويني وتركيبى العربي الرؤيا الحديثة للمعمار .

فقد استطاعت صفية بن زقر أن تجعل المتأمل لهذه اللوحات لايسعه إلا أن يشعر بالاحترام والتقدير أمام عظمة هذه العمارة الاسلامية وشموخها وجمال زخرفتها .

علاوة على أن الطبيعة المرئية لهذه الخطوط كافية لان ندرك بسهولة ما بينها من تباين يجعل الحوار بينها ممتع في التقابل والتباعد والحركة والسكون والاستدارة والاستقامة وفي نفس الوقت تنقل إلينا الاحساس بالتآلف والتوافق الأمر الذي أدى في النهاية إلى ترابط هذا العمل وتحقيق وحدته. وقد تمكنت الفنانة من توظيف خطوطها بشكل حقق ماترمى إليه من تعبير عن حركة الانسان(٣) الهادئة أو عن صلابة(٤) الصخر ، أو عن شموخ المشربيات (٥) الخشبية .

والفنانة صفية بن زقر عندها المقدرة في التوليف بين الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية في معايشة ينبثق منها حوار دائم لعناصر اللوحة في اطار زخرفي زاخر بالتفاصيل الدقيقه يساهم في تحقيقه الألوان الصريحة والمتدرجة . مثال على ذلك :

ص ٩٥ «يوم السوق في أبها» حيث الأدوات النحاسية في مقدمة اللوحة على اليسار تكون مجموعة طبيعة صامته تحيط بالانسان وتخلق معه ومع باقى عناصر اللوحة علاقة وحوار.

ص ٩٩ «لحظة انسجام» الشيشه والكرسي والدلة والشباك (المشربيه) تكون مجموعة من الطبيعة الصامتة تحيط الانسان بجو من الحوار الدائم .

ص ١٠١ «التزين» الابريق والطبق في مقدمة الصورة على اليمين ـ الصندوق في الخلفية القلل والمنجرة في اعلا اللوحة على اليسار كل هذه الأدوات الصامتة تلف الانسان وتخلق معه جو من الحوار الدائم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ١٣٧ «سوق النخاولة بالمدينة» مجموعة السلاسل في مقدمة اللوحة على اليمين والمجموعة التى تحملها السيدة على يسار اللوحة ، والمجموعات المتناثرة في أجزاء اللوحة كلها مع التكوينات الزخرفية الدقيقة والألوان الصريحة المتدرجة .

كل هذا يضفي حوارا دائما بين عناصر اللوحة .

الفنانة والفن الشعبي والفطري

كثيرا ما يحدث في المراحل الأولى للتعبير بالفن ، أن يميل الفنان في أعماله التصويرية إلى مطابقتها بالواقع المعتمد على الرؤية البصرية والامكانات التقنية من أجل المحاكاة . وكثيرا ماتصبح المطابقة للمرئيات بين عمله والواقع هى هدفه الأساسي ، وليست القيم التعبيرية الجمالية ، وهنا يتردد الفنان في مجال التشكيل والابداع ، نتيجة لمحاكاة المرئيات التى امامه واخفاقه في أغلب الاحيان ، وهذا يحول دون انبثاق انتاج فني يتميز بالاصالة والفطرة .

أما الفنانة صفية بن زقر فقد اتبعت النسق الفطرى في تعبيرها عن فنها الشعبي ، فهى لا تتردد ولا ترهب مجال التشكيل نتيجة لمحاكاة المرئيات التى امامها فهى تنطلق في ابداعها التشكيلي وكلها ثقة في نفسها وفي انتاجها وقدراتها الفنية ، متميزة بخصوبة الخيال ، والصدق في التعبير والانطلاق في الانتاج بلا حدود . مؤكدة بذلك انتمائها للفن الشعبي والفنان الفطرى .

ومنذ زمن بعيد بدأ الاهتمام بالأعمال الشعبية والفطرية والنظر إليها على أنها عمل خلاق وليست مجرد نشاط عبثي لا يعني شيئا .

والفن الشعبى والفطرى أو الساذج لا يعني تبعا لتلك التسميات أنه فن غث أو سطحى بل أنه فن يحمل كل معاني ومقومات الكلمة ، فهو ترجمة تشكيلية لقيم انفعالية وتعبيرية صادقة وهو يشترك أحيانا مع فن الطفل في نواحي عديدة .

والفنان الشعبي والفطرى لا يخضع لمعايير أو مقاييس محدوده ، بل أن المعيار الوحيد هو ذات الفنان المستندة على حساسيته وخبرته السابقة . بمعنى أن التكوين والاشكال لا يحكمها المنطق البصرى «المنظور Perspective

أمثلة من أعمال الفنانة عن عدم التقيد الحرفي بالمنظور

ص ٢٩ حامل الحذاء The slipper carrier

نجد أن الاشخاص الذين يحملون الاشياء أكبر حجما من الآخرين في اللون . ونجد أن اكبرهم حجما هو حامل الحذاء .

ص ٣٩ النصة Al-nassah

العروس حجمها أكبر من جميع الموجودات باللوحه ، و بالرغم من وجودها في أفق اللوحة بعيدا . وإذا قورن حجمها نجد أن طولها وهي جالسة يقرب طول السيدة الامامية القريبة على يسار اللوحة .

ص ٩١ الرقصة البدوية Bedovin Dance

الراقصة بالثوب الاحمر ، والجالسة تدق الطبل ، كبيرتا الحجم جدا بالنسبة للأخريات .

يحدث هذا من الفنانة بشكل تلقائى ودون تعمد تعبيرا منها عن أهمية الشخص

ص ١١٣ الملك الراحل فيصل في العرضة النجدية .

الشخصان قبل الملك كبيرا الحجم مدخلا للرؤيا للملك ، ثم بعد صورة الملك تدرجت بشكل سريع نحو تصغير الاشخاص حتى تثبت الرؤيا عنده لاهميته عند الفنانة .

ص ٢٧ الجهــــاز The hovsseau

أرضيـة اللوحة مقسمة إلي مربعات صغيرة نجد أن حجمها متقارب سواء القريبة أو البعيدة منها . والفنانه هنا تغافلت صفة المنظور لزخرفة المساحة وتنغيمها بهذه الخطوط الكثيرة المتشابكة المتعاكسه ربما تعبيرا عن زحمة العمل في الجهاز . بل إن الاشكال تأخذ احجامها تبعا لدلالات وإيحاءات وتعبيرات أو اسقاطات نفسية للفنان وترتب في تكوين جمالي تشترك فيه كل العناصر أما من ناحية التشكيل نفسه فبالرغم من أن الموضوعات التي تعالجها الفنانة تعتبر تسجيلية ولكن الفنانة تمارس فنها من داخل مشاعرها الشخصية نحو هذه الموضوعات العامة التى تمس روح الشعب كله لتعبر عن معان تدور في نفسها فاللوحة تمثل عالما قائما بذاته تعكس ذاتية الفنانة وآمالها ، تحكمها قوانين خاصة بها : تمتد جذورها لتصل إلى اللاشعور والتراث الشعبي وترسيبات الطفولة من أحلام وذكريات قديمة .

إن القدرات التقنية لدى الفنانة محدودة ، كما هو معروف عن أى فنان شعبي أو فطرى - ولكن هذا لا يشكل معوقا في العمل بل إن فنية استخدام الخامات والأدوات بالطرق البسيطة التى تمارس بها الفنانة عملها يشكل جزءا أساسيا في العمل و يعكس نفسيتها بفطريتها وأصالتها الشعبية .

تلجأ الفنانه في معظم أعمالها إلى رسم تفاصيل دقيقة وهنا لا تكون بغرض محاكاة الطبيعه وحسب ، بل إنها تؤديها للوصول بالشكل إلى قيم زخرفية تعكس قيما تشكيلية داخل الانسان والطبيعة مثل (التكرار .. التماثل الايقاع .. النغم ..) وهذه من ضمن القيم الفنية التى يتميز بها الفن الاسلامى ، واستخدام اللون عند الفنانة يكتسى بمسحة تعبيرية ، فهو ليس مجرد غطاء للشكل يساهم في ايجاد حل تشكيلي ، بل إنه يعطى

معادلات تشكيلية ، للحالات الانفعالية ، والاشكال التعبيرية .

من المعروف أن الفن الفطرى يرتبط عادة بالتقاليد والعادات الشعبية والرموز و يستمد منها موضوعاته ، ويجد فيها المجال الخصب بمالها من ارتباط وثيق بالتراث وبما فيها من سعة وخصوبة ، تعطى امكانيات هائلة للتعبير والاسقاطات النفسية .

ولارتباط الفن الفطرى بالتراث الشعبي وفن الطفل والانفعالات الكامنة في اللاشعور فهوفن ذو اصول تاريخية .. ولكن هذا لا يمنع كونه فنا متطورا فالفنان يعيش حياته تحت احتياجات ومظاهر وقوانين عصره .

وإن نظرة شاملة في تاريخ هذا الفن تمنحنا فرصة لمعرفة مكانه المتميز بين سائر فنون الابداع الانساني .

و يعتبر الفن الشعبي فنا فطريا أو كما يسميه البعض فنا ساذجا ، وهو من الملامح الهامة في فنون البشرية ، و يذهب كثير من الناس إلى التقليل من شأنه وشأن فنانيه غير أن هذا الاتجاه غنى وخصب بخصائص تعبيرية وحلول تشكيلية وقيم فنية خاصة ، حيث ينطلق الفنان بفطرته مستمرا في نشاطه الابداعى بدون التقيد بالاساليب والقواعد الكلاسيكية في محاولة محاكاة المرئيات واتخاذ التقنية كهدف في حد ذاته .

والفنانة صفية بن زقر ، فنانة لها طموحها وتطلعاتها مما يجعلها دائمة النشاط والانتاج من أجل بناء شخصيتها الفنية وصقلها ، ولتحقيق ما تهدف إليه نراها تشق طريقين ارتبط أحدهما بالتعمق في الثقافة الشعبية والاسلامية ، وفي هذا المجال تقوم بدراسات وافية ودقيقة لكل العادات والتقاليد البيئية والشعبية والدينية ، سواء المندثرة منها أو التي على وشك الاندثار أو التي تمارس حاليا ، وتتدرج منها الى دراسة الازياء والملابس القومية للوطن العربي السعودى .

أما طريقها الثاني فيرتبط بالممارسة الفنية ، حيث نجدها تذكر عن نفسها (لا أعتقد أنه يمكنني أن أعيش بدون ممارسة فن التصوير Painting وحتى لو توقفت لفترة فسوف لا أستغنى عنه بتاتا ...) .

والكتاب يضم مجموعة من الأعمال وإن كانت تتسم بتنوع موضوعاتها التعبيرية إلا أنها تتميز بوحدة اطارها الفكرى والفنى — فالمتأمل في بنائها التشكيلي يجب أنه يقوم أساسا على فكرة الحوار والأرتباط بين الكائنات ، وذلك الحوار الذى يعكس الاحترام والتقدير ، والبهجة والحب والالفة والصفاء والايمان — فهى تعكس كل صفات ومميزات جوهر ومضمون التقاليد والعادات الاسلامية العريقة بالاضافة الى أن اعمال الفنانه ارتبطت إلى حد كبير بمناخ البيئة السعودية وتراثها الحضارى الاسلامي الاصيل — ولعل هذا الارتباط هو من العوامل التى ساعدت على تأكيد وحدة الاطار الفنى لتلك الاعمال .

وهي تؤكد اهتمامها بالجانب القومي وحرصها على احياء التراث والمحافظة على تلك القيم الاصيلة . فالمفردات التشكيلية فى هذه التصاوير بما تحمله من رموز كثيرة ، وعناصر زخرفيه متنوعة تؤكد روح المعالجة التشكيلية عند المصور الشعبي إلا أن ما تقدمه الفنانة هنا يستند الى ثقافة واعيه ودراسة انعكست على تعبيراتها الفنية في اعمالها التصويرية .

من هذا يمكن أن يوصف فنها بأنه فن فطرى شعبى .

حياة الفنانة صفية بن زقر

الفنانة صفية بن زقر ، ولدت في جدة بالمملكة العربية السعودية . وقد تعلمت في جدة والقاهرة . و بدأ اهتمامها بالفن يظهر في الفترة التي امضتها في مصر . و بعد أن اتمت ثلاث سنوات لدراسة اللغات في انجلترا عادت إلى القاهرة لتبدأ دراستها في فن التصوير على يد مدرس خاص بمنزلها . ثم درست سنتان في مدرسة سانت مارتن للفنون بلندن .

— والفنانه صفيه بن زقر اقامت ثلاث معارض شخصيه في جدة عام ١٩٦٨ م ، ١٩٧٠ م ١٩٧٦ م .

— وفي الظهران اقامت معرضا عام ١٩٧٦ م .

— وفي عام ١٩٧٣ م اقامت معرضا دائما في قاعة Wood Stock بلندن .

الهوامش

(١) التكوينات الصامته مثل وحدات التعاويذ ص ١٠٧ .
السموار ص ٩٧
طبيعة صافه ص ٨٩

(٢) الفنون الحديثة المعاصرة : التي تهدف نحو البحث في لغة الشكل الخالص ، ونحو البناء التشكيلي المجرد الذى لا يخضع لأى مظهر من مظاهر الطبيعة المرئية أو يقوم على تمثيل الاشياء فيها .

(٣) المقابلة أو الموعد ص ١٢٢ — ١٢٣

(٤) قصر المصمك بالرياض ص ٧٤

(٥) منزل من جدة ص ٦٦
منازل قديمه في جدة ص ٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com